

برهان الدين بوغوار

# واقع الفَرَاءِ الْعَيْنِي



دار الطفليات والتوزيع

وَاقِعُ الْفَكْرِ الْيَهُودِيِّ

SIMONE DE BEAUVIOR

LA PENSEE DE DROITE,  
AUJOURD'HUI

(GALLIMARD, PARIS)

حقوق النشر باللغة العربية  
محفوظة (دار الطبيعة) بيروت

الطبعة الأولى

كانون الثاني، ١٩٦٣

سِيمُونْ دِي بوْقار

وَاقِعُ الْفَكِ الْمِبْنِي

ترجمة  
جورج طرابيشي

منشورات دار الطليعة - بيروت



المقيقة واحدة : أما الغلط فمتعدد.  
لهذا فليس من قبيل الصدفة أن يتبنى  
البيان مذهب التعدد . والمبادئ التي  
تعبور عنه أكثر عدداً من أن تتمكن  
دواستها كلها هنا جدياً . لكن  
المفكرين البورجوازيين – الذين  
يمنعون خصومهم من استخدام مناهج  
ماركس ما لم يقبلوا بنظامه كله  
كتلة واحدة – لا يتعرجون من  
الخلط بين أفكار مأخذة عن  
شبنغلو ، وبرنهايم ، وياسبرز  
وكتيرين غيرهم ، وانتقاء ما يحلو لهم  
منها . إن هذا المزيج يشكل  
الأساس المشترك لعقائد البيان الحديثة ،  
وهو موضوع هذه الدراسة .



# ال موقف الحادى للفِكَر البورجوازى

نحن نعرف ذلك : ان البورجوازى اليوم خائف . فما يقفر الى العين او لا في جميع الكتب ، والمقالات ، والخطابات التي يعبر فيها فكره عن نفسه ، هو هذا الرعب . وحسب تعبير عزيز على مالرو ، فإن « اوروبا قد كفت عن التفكير بنفسها بالفاظ الحرية لتفكير بنفسها بالفاظ القدر ». لكن قدر الغرب ، كما هو شأن جميع الحضارات ، حسب رأي شنبلار الذي « نقل عنه هذا المصطلح » ، هو موته . موت اوروبا ، أ Fowler الغرب ، نهاية عالم ، نهاية العالم : ان البورجوازية تعيش في بحران السكاراثة الوشيكة الواقع التي ستطوح بها .

كتب فابر لوت حوالي ١٩٤٥ : « انتا نبكي من الان في الخرائب على خرائب قادمة » .

« كثير من الكوارث تدفع الانسان اليوم<sup>(١)</sup> الى القلق على

---

١ - كي تدرك مدى النصوص التي استشهد بها في هذه الدراسة ، يجب ان نذكر ان صاحب الامتياز في نظر مفكري اليمين هو وحده المتمعن بوجود

اعماله ، الى الشك في قيمة الحضارة بالذات . وقليل كونه  
يتساءل : فعما قريب سوف يمئس ويضحك ساخراً . (كابوا:  
« حرية الفكر » ، ١٩٤٩) .

« المجتمع بحاجة الى بشر متفوقين لأنه بات غير قادر على  
قيادة نفسه وحضارة الغرب مزعزعة حتى في أنسها » .  
(ألكسيس كاريل : « تأملات في سلوك الحياة » ، ١٩٥٠) .  
« افنا نجد انفسنا اليوم بين نهاية وبداية . نحن ايضاً لدينا  
مخاوفنا . ان التطور الذي نسير فيه سيكون طويلاً ورهيباً » .  
(سوستيل : « حرية الفكر » ، ١٩٥١) .

« نعلم جميعاً التهديد الذي يثقل على الحضارة الغربية في أفق  
ما لديها : « حرية الفكر ». (ريبي رور : « الأدلة » ، ١٩٥١) .

الخ ...

ان الظاهرة ليست جديدة كل الجدة . لقد تنبأ المحافظون  
بذرع في جميع الأزمان بعودة البربريات الماضية في المستقبل<sup>(٢)</sup> .  
ولقد كتب جول رومان يوم كان لا يشاطر بعد الآخرين هذا

---

حقيقي . ان كلمة « انسان » في اللغة للبورجوازية تعني « بورجوازي » .  
وأوروبا ، والغرب ، هما بورجوازية أوروبا والغرب . أو بتعبير أدق ، أنها  
الفكرة التي يكونها المفكر البورجوازي عن أوروبا والغرب . أما غير صاحب  
الامتياز فيشار اليه عادة بلفظة : الجاهير ، ولا يسم له الا بواقع سلبي .  
٢ - كتب ، مثلًا ، بودينيونوستيف ، المدعى العام لسان سينود ، في  
١٨٨٠ : « اذا قارنا الحاضر بالماضي البعيد ، شعرنا بأننا نعيش في لست  
أدرى أي عالم حيث يرجع كل شيء الى الوراء نحو السليم البدائي ، ونحن  
نشعر بأننا عاجزون في هذا التخمر كله ». نقلًا عن تروتسكي في « حياتي » .

الخوف : « ان تكون الى اليمين » ، فهذا معناه ان تخاف على ما هو موجود ». ان « خوف القرن العشرين الصغير » هذا الذي فضله مونيه ، قد اخذ ينتشر ، تحت شكله الحالي ، منذ نهاية الحرب العالمية الاولى : يوم وجد تفاؤل البورجوازية نفسه مزعزاً جدياً . كانت البورجوازية ، في القرن السابق ، تؤمن بتطور الرأسمالية المنسجم ، باستمرار التقدم ، بدواامها الذاتي . وحين كانت موفقة في التبرير ، كانت تستطيع ان تستنجد بالملحمة العامة لفائدتها : كانت نهضة العلوم ، والتقنيات ، والصناعات القائمة على الرأسمال تؤمن للبشرية القادمة الوفرة والسعادة . وكانت على الأخص ، تثق بمستقبلها ، وكانت تشعر بأنها قوية . لم تكن تجهر « الخطر العالمي » ، لكنها كانت تملك ضده اسلحة عديدة . ولقد كتب شاتوبريان غير هازل : « يمكن ان نضيف الى قوة الحاميات العسكرية القدرة الفائقة للآمال الدينية ». لكن الموقف كان قد تغير في مطلع القرن العشرين . فحل محل نظام المنافسة الحرية نظام « الاحتكارات » وأخذت الرأسمالية ، بعد ان تحولت على هذا النحو ، تعى تذاقها الذاتية . وعلاوة على ان « الخطر العالمي » قد تفاقم تفاقماً ملحوظاً ، فإن الآمال الدينية فقدت قدرتها الفائقة وأصبحت البروليتاريا قوة قادرة على شل قوة الحاميات العسكرية . وأخذت البورجوازية من نفسها في الشك في الاوهام التي اختلقتها لذاتها . وتبين ان تقدم التقنية والصناعة حافل بالتهديد اكثر منه بالوعود : فبدلأ من ان « تخصب الارض صارت تتلف ». يقيناً ، ان الاقتصاديين

البورجوازيين لا يزالت يزعمون ان الرأسمالية هي وحدها  
القادرة على تحقيق الازدهار الكوني : وان كانوا يقررون على  
الأقل بأنه لا بد من تنظيمها بشكل جدي . وعلى ضوء الحروب ،  
والازمات ، تبين ان تطور النظام لا يشبه صعوداً مظفراً نحو  
عصر ذهبي جديد : بل لقد أخذ الشك يخامر النفوس في انه قد  
لا يكون الا شكلاً قابلاً للزوال في تاريخ البشرية . ولقد  
أخذت البورجوازية ، بعد ان خللت بين مصيرها ومصير  
الارض بأسرها ، تتبايناً بروئى سوداء . وتبني واضمو عقائدها  
الرؤبة المأساوية للتاريخ التي قال بها نيتشه .

كتب ياسبرز : « بعد الحرب العالمية الاولى ، خيم الفسق على  
جميع الحضارات . كان العالم يستشعر نهاية البشرية في تلك  
البوتقة التي يذوب فيها من جديد جميع الشعوب وجميع البشر -  
من اجل زوالهم او من اجل ولادات جديدة . لم تكن بعد  
النهاية ، لكن الناس كانوا يفكرون بها كاحتلال في كل مكان  
تقريباً . كان كل فرد يعيش في هذا الانتظار ، بقلق مذعور -  
او بقدرة خانعة . كانوا يرجعون الحدث الى قوانين طبيعية او  
تاريخية او اجتماعية ، او يقدمون عنه تفسيراً ميتافيزيقياً بنسبه  
الى ضياع الماهية . وهذه الفروق في الجو محسوسة جداً لدى  
كلاجس او شبنغلر او الفريد ويبر . لكن ما من احد منهم  
يشك في ان الازمة هنا ، وانها اخطر مما كانت عليه في أي زمن  
سبق » . ( اصل التاريخ ومعناه ، ص ٢٩٠ ) .  
وفي فرنسا ايضاً كانت ترتفع في ذلك الزمن اصوات قلقة .

لقد قرع فاليري ناقوس الخداد ، في دراسة أثارت آنذاك ضجة كبيرة . لقد اكتشفت حضارتنا أنها فانية . وكتب دريو لاروشيل في ١٩٢٧ في « الشاب الأوروبي » : « جميع القيم التي كنا نعيش عليها تزول » ، وكذلك : « اني أجهد في الاقتراب حتى لا كاد ألسن ياصبعي خصائص عصرنا . اني أراها قبيحة جداً ومسطورة للغاية حتى ان الانسان المضنى لن يستطيع افلاتها من الحتمية التي تفصح عنها وسوف يموت منها وشيكاً ». ومن هنا ، تبدأ فترة طويلة بموت الكائن الانساني .

بيد ان البورجوازية كانت لا تفكك بعد ب نهاية الانسانية ، أي بتصفيتها الذاتية باعتبارها طبقة ، الا على أنها « احتال ». ذلك لأنه كان قد تبقى لها أمل : الفاشية . كانت العقيدة النازية تقلب التشاوؤم الى اراده قوة . حين كانت شينفلر يعلن أقول الغرب ، كان يحسب ان كتابه يمكن « ان يكون اساساً لتنظيم مستقبلنا سياسياً » ، وكان يقترح على انسان الغرب هذا الخيار : « ان يفعل ما هو ضروري او لا شيء » ، أي انه كان يحثه على القبول بقيصرية جديدة . وكان دريو يتتجاوز تكهنات شبابه القاتمة نحو « الحزب الشعبي الفرنسي » ، ويحيي في الفاشية النهضة الحديثة . لقد كتب في « ملاحظات لفهم هذا القرن » : « ان الاستبدادية تتيح الفرصة لإحياء جسمى وروحي لإنسان القرن العشرين ». وفي ١٩٤٠ هنا اوروبا على أنها اكتشفت اخيراً « حس المأساوي » ، وصرح « انه يجب ان يعاد ادخال المأساوي الى الفكر الفرنسي »، لكن ما يعنيه بهذا

فهو بكل بساطة دمج فرنسا بأوروبا تحكمها النازية .  
 والآن ، لقد فعل ما هو ضروري : بلا جدوى . فقد  
 قهرت الفاشية : وهذه الاهزيمة ترزع ثقيلة على بورجوازية اليوم .  
 إنها لا تلمح في « الفسق » الذي تسبح فيه الإنسانية أي بصيص  
 بطولي . أي قيصر . لم يعد هناك شيء يحميها ضد الشكوك  
 التي تطوقها . كتب سوستيل في « حرية الفكر » :  
 « لقد اقتضت زعزعة ضميرنا المستريح حربين عالميين ،  
 ومعسكرات الاعتقال ، والقبلة الذرية . لقد بدأنا بطرح  
 السؤال الرهيب على أنفسنا : أمن الممكن الا تكون حضارتنا  
 هي الحضارة ؟ » .

لقد طرح السؤال . وهذا هي جوقة عظيمة تجib :  
 إنها ليست الحضارة . . إن جميع الشعوب التي  
 ليست من الغرب ، اي التي لا تعرف بقيادة الولايات المتحدة  
 الأميركيّة ، وجميع شعوب الغرب التي ليست بورجوازية ،  
 ترفض حضارة البورجوازي الغربي . والأخطر من ذلك : إنها  
 في طريقها إلى خلق حضارة أخرى . كان البورجوازي يستشعر  
 قبل الحرب الأخيرة ، إن شيئاً ما سينتهي : لم يكن يعرف ما  
 سيلد بعده . والآن أصبح للبربرية اسم : الشيوعية . إنها هي  
 « وجه ميدوزا<sup>(١)</sup> » الذي تجحد رؤيته دم المتحضرين . إنها من

١ - كانت ميدوزا ذات جمال خارق ، لكن شعرها استحال إلى أفاعٍ  
 غبيفة حين اهانت الإلهة منيرفا ، وصار من ينظر إليها يتتعجر . « المترجم »

الآن تسود على خس الكرة الارضية : انها سرطان سوف يتأكل الارض بأسراها . والادوية الوحيدة التي يفكر بها اليمين هي القبلة والثقافة : والاولى جذرية للغاية ، والاخري قليلة للغاية ، انه يتبني ، بين الغضب والرعب ، التنبؤات الماركسية : انه يعرف انه هالك .

تفكير المقهور ، تفكير مقهور . كي نفهم عقائد اليمين المعاصرة ، يجب ان نتذكر دوماً انها تبني نفسها في ظل الهزيمة . بالطبع ، انها تتصل بالماضي بلامح عديدة ، واحد هذه الملامح لم يفقد شيئاً من اهميته منذ ان فضحه ماركس : المثالية . ان البورجوازي ، المقطوع بعمله ونوع حياته عن كل احتكاك مع المادة ، والمحمي ضد الحاجة ، يجهل مقاومات العالم الواقعي : انه مثالي كما انه يتنفس . ان كل شيء يشجعه على التطوير المنهجي لهذا الميل الذي ينعكس فيه وضعه مباشرة : انه لا يستطيع ان يتعامى عن الصراع الطبقي ، الذي يتم بانكاره اهتماماً جوهرياً ، الا اذا رفض الواقع كتلة واحدة . انه يحمل عمله « المثل » التي يحدد فهمها كما يحلو له والتي يجد بشكل تعسفي من امتدادها . ان المنهج ، اذا ما نظرنا اليه في عموميته<sup>(1)</sup> معروف جداً ، فقد هاجمه ماركس ولبنين بقوة لا تدع لنا مجالاً للوقوف عنده اكثر من ذلك . ويكتفينا ان نشير الى ان مختلف تطورات الفكر البورجوازي تتضمن جميعها موقفاً مثالياً وتيل جميعها الى

---

١ - سوف نعود الى احدث مظاهره .

توكيده .

كانت تبني في الماضي على هذا الاساس انظمة متمجرفة . وقد مضت الى غير رجعة تلك الأيام التي كان يزدهر فيها جوزيف ميستر<sup>(١)</sup> . وبونالد<sup>(٢)</sup> . بـل ان الموراسية<sup>(٣)</sup> بالذات ، رغم رواجها ، ورغم انها مذهب مفرق في الوضعية ، قد دفت . ان النظري البورجوazi يعرف ان المستقبل يفلت منه ، وبات لا يحاول ان يبنيه . انه يحدد نفسه بدءاً من الشيوعية ، وضدها ، بطريقة سلبية محض . ان آرون مثلاً وهو يختم « الانشقاق الكبير » لا يتساءل : « بمَ نؤمن؟ » بل « بمَ نعارض الشيوعية؟ » ويحيب : « بتـأكـيد القيـم المـسيـحـيـة والـإـنـسـانـيـة ». لكن من الجلي لمن قرأ كتبه ان القيم المزعومة هي أصغر هومـهـ : ان هـزـيـةـ الشـيـوـعـيـةـ هيـ وـحـدـهـاـ التـيـ تـهـمـهـ . كذلك فإن روجون ، في ذلك النوع من البيان الذي يفتح العدد الثاني من « الأدلة » يبدأ بالتصريح : « انت ضعفاء بالأحرى امام الدعاوة الاستبدادية » ، ويقترح كبرنامج مبادئ دعاوة مضادة . وقد

---

١ - فيلسوف ديني فرنسي متطرف في تبنيه لآراء موتيني ، وقد دافع بمحاسة عن مبادئه السلطة في الامور السياسية والدينية ( ١٧٥٣ - ١٨٢١ ) . « المترجم » .

٢ - لويس بونالد : كاتب سياسي فرنسي ، دافع بمحاسة عن المبادئ الملكية والكاثوليكية . ( ١٧٥٤ - ١٨٤٠ ) . « المترجم » .

٣ - نسبة الى شارل موراس ، وهو كاتب فرنسي ، كان من اشد انصار الملكية حـاسـةـ وـاـكـثـرـهـمـ كـرـهـاـ للـديـقـراـطـيـةـ . « المترجم » .

وصلت الأمور الى حد ان ليون ويرث قدامكنه ان يصرح وهو يحيي عام ١٩٥٠ في « حرية الفكر » على تحقيق عن الحرية : « ان نظاماً حراً في ١٩٥٠ يحدد نفسه بنقيضه الذي هو النظام الستالييني ». وقد أثبتى أصدقاؤه عظيم الثناء على هذا الجواب. وهذا يعني الاعتراف بأن اليمين المعاصر بات لا يعرف عمما يدافع عنه : انه يدافع عن نفسه ضد الشيوعية ، هذا كل شيء . وهو يدافع عن نفسه بدون أمل . ومن كان نيزان يدعوه بـ « كلاب حراسة » البورجوازية يحاولون اليوم ان يبرروا بقاء مجتمع ، هم انفسهم يعلنون موته القريب .

وهذا التبرير بالذات ليس مهمة سهلة : ان فشل البورجوازية التاريخي يكشف لها التناقضات النظرية التي يتخبط فيها فكرها . وقد عرض جول رومار ، في مقال نشرته مجلة « الأدلة » في آذار ١٩٥٢ ، مؤساتها العقائدية بشكل مؤثر : فها هي صحة المبادئ التي خلقتها لاستعمالها الداخلي والتي هي في سبيلها الى الانتشار جهاراً في الارض قاطبة . « ان كل حضارة لم تستطع حق الان ان تؤسس نفسها وان تبقى على الاخص على قيد الحياة الا بقدر ما استطاعت الإبقاء على الفروق ، والمقاسب ، والتفاوتات التي جمعتها ببطء مصلحتها والتي يمكن ان تبدو كلها باغية ومسوحة في نظر البربريات ، والهمجيات ، والجماعات ، والفاقات المجاورة ». بيد ان « فكرة العدالة او بالأحرى فكرة المساواة في الحقوق هي كالنار في الغابة ». وقد نحب ان نوقفها عند بعض التقادم .

لكنها تقفز من فوقهـا . ان تدمير الامتيازات ، والفرقـات النـافـعـة ، والـمـاكـابـ المـؤـقـلـة لـهـوـرـدـ فعل متـسـلـل لا يـنـتـهـي الا يوم لا يـحـدـ امامـهـ بعد ما يـلـتـهمـهـ » .

ان هذا النـصـ السـاذـجـ يـطـرـحـ بـدـوـنـ لـفـ المشـكـلةـ التـيـ عـلـىـ كـلـابـ الحـراـسـةـ المـعاـصـرـينـ اـنـ يـخـلـوـهـاـ .ـ لـقـدـ اـرـغـمـ الـخـلـفـ الـاطـلـسـيـ الـبـورـجـواـزـيـنـ عـلـىـ تـجـاـوزـ الـقـوـمـيـةـ الـبـالـيـةـ نـحـوـ مـاـ يـدـعـونـهـ اوـرـوـبـاـ ،ـ وـالـغـرـبـ ،ـ وـالـحـضـارـةـ .ـ وـلـيـسـ فـيـ هـذـاـ مـحـذـورـ :ـ فـمـاـ دـامـ الـاـمـرـ لـاـ يـتـجـاـوزـ نـطـاقـ اـصـحـابـ الـاـمـتـيـازـاتـ ،ـ فـيمـكـنـ بـكـلـ بـسـاطـةـ اـنـ تـحـىـ بـعـضـ الـحـدـودـ .ـ لـكـنـ المشـكـلةـ هـنـاـ :ـ اـنـهـ يـرـيدـونـ اـنـ يـبـقـواـ فـيـ بـيـنـهـمـ .ـ وـهـاـ هـيـ ذـيـ «ـ الـبـرـبـريـاتـ ،ـ وـالـهـمـجـيـاتـ ،ـ وـالـمـجـاعـاتـ ،ـ وـالـفـاقـاتـ الـجـاـوـرـةـ »ـ تـضـطـرـبـ ،ـ وـتـحـرـكـ ،ـ وـتـكـلـمـ ،ـ وـتـهـدـدـ :ـ فـكـيـفـ يـكـنـ بـعـدـ ذـلـكـ ،ـ اـنـ يـنـكـرـ وـجـوـدـهـاـ ؟ـ وـمـهـاـ صـرـحـ السـيـدـ دـيـ رـجـمـونـ اـنـ «ـ اوـرـوـبـاـ هـىـ ضـمـيرـ الـعـالـمـ »ـ ،ـ فـإـنـ بـورـجـواـزـيـ الغـرـبـ مـرـغـمـ عـلـىـ القـبـولـ بـأـنـهـ لـمـ يـعـدـ الضـمـيرـ الـوـحـيـدـ ،ـ الذـاتـ الـمـطـلـقـةـ :ـ فـهـنـاكـ بـشـرـ آـخـرـونـ .ـ وـ «ـ تـبـدـوـ »ـ لـهـؤـلـاءـ اـمـتـيـازـاتـ التـحـضـرـينـ باـغـيـةـ :ـ فـكـيـفـ يـكـنـ تـبـدـيـدـ هـذـهـ الرـؤـيـاـ ؟ـ كـانـتـ الـبـورـجـواـزـيـةـ حـتـىـ الـيـوـمـ ،ـ وـبـفـضـلـ اـخـتـادـقـ الـتـيـ عـرـفـتـ كـيـفـ تـخـفـرـهـاـ ،ـ تـوقـقـ بـدـوـنـ كـبـيرـ مشـقـةـ بـيـنـ فـكـرـةـ الـعـدـالـةـ وـوـاقـعـ مـصـالـحـهـ :ـ فـهـلـ مـاـ زـالـتـ قـادـرـةـ عـلـىـ ذـلـكـ ؟ـ لـاـ بـجـالـ بـالـطـبـعـ لـلـتـخـلـيـ عـنـ التـفاـوـتـاتـ الـتـيـ تـكـنـ الـاسـتـفـادـةـ مـنـهـاـ .ـ فـهـلـ يـتـوجـبـ عـلـيـهـاـ اـنـ تـطـرـحـ جـانـبـاـ فـكـرـةـ الـعـدـالـةـ ؟ـ اـنـهـ لـاـ خـتـيـارـ مـؤـلمـ ،ـ باـعـتـبـارـ تـقـالـيدـ الـعـقـيـدةـ

البورجوازية .

ان الصعوبة كلها متأتية من كون البورجوازية تفكير .

كانت طبقة النبلاء تحارب من اجل امتيازاتها ولا تكاد تهتم بإضفاء طابع الشرعية عليها . ولقد كان التفكير يومذاك كما يذكر ذلك دريو لا رو شيل بمحنن هو : « بعد كل شيء تسديد او تلقي ضربة سيف » . لكن الفكر كان بالنسبة للبورجوازية ، على العكس ، اداة تحرر : وهي تجد نفسها اليوم متلبكة بالعقيدة التي سنتها لنفسها ایام كانت طبقة صاعدة . لقد كتب ماركس : « ان كل طبقة جديدة مرغمة على اضفاء طابع الشمول على افكارها ، وعلى تصويرها بأنها الوحيدة المعقولة والقائلة عالياً ». ويضيف ان ادعاءها مبرر بقدر ما تتمرد هذه الطبقة ثوريأ . غير ان البورجوازية اصبحت بدورها طبقة مسيطرة . وهي تدافع اليوم ، بدل ان تناضل ضد الامتيازات الأجنبية ، عن امتيازاتها الخاصة ضد سائر الانسانية . كما انها غير قادرة على ان تنكح كل الانكار فلسفة الانوار تملک التي امتحنت حقيقتها في الثورة الفرنسية . غير ان هذا سلاح ذو حدين ينقلب اليوم ضدها فكيف تبرر بالفعل على الصعيد الكوني مطالبتها بالخصوصيات المرجحة؟ من الطبيعي ان يفضل كل انسان نفسه ، لكن من المستحيل أن يُشيد من هذا التفضيل نظاماً مقبولاً من الجميع .

ان البورجوازية واعية لهذا التناقض ، لهذا تقف من الفكر موقفاً متعارضاً . ويشير ماركس عن حق الى ان هناك خصومة

معينة بين « الاعضاء الفعالين » للطبقة المسيطرة وبين « واضعي العقائد الفعالين والمفكرين الذين يقوم اختصاصهم على اختلاق الاوهام التي تتوهمها تلك الطبقة عن نفسها ». فهو لاء الاختصاصيون يُنظر اليهم بربية . وكلمة « مثقف » تأخذ بسهولة عند اليمين معنى تحقيرياً . وصحيح ان البروليتاريا تعتبر ايضاً المثقفين مشبوهين: لكن بقدار ما هم بورجوازيون فحسب . وماركس يعترف للمثقفين اولاً ، من بين البورجوازيين ، بالقدرة على الارتفاع الى مستوى « الذكاء النظري للحركة التاريخية في مجموعها ». في حين انت البورجوازي يرتاب في الفكر بالذات . كان ستندال يقول : « كل حاكمة عقلية جيدة تهين ». وكل نظام تقدمي يحارب الأمية: اما الانظمة الرجعية ، كما هو شأن فرانكو وسالازار ، فتشجعها . وما إن يشعر اليمين بنفسه قوياً ، حتى يحل العنف محل الفكر ؛ ولقد رأينا ذلك في المانيا النازية . وفي فرنسا ايضاً كانت « انصار الملكية » وغيرهم من الفاشيين يرون ان من الأفضل ، اذا كانوا اكثر عدداً ، انت يضربوا من ان يقيموا البراهين .

ولقد كان دريو يشكوا : « اليوم ، لم يعد للبشر سيف ». والبورجوازية تشعر حالياً انها مجردة من سلاحها اكثر مما كانت عليه قبل عشرين سنة . والامير كان ، هذا صحيح ، يملكون القنبلة الذرية : وهي بالضبط تقوم عندهم مقام الفكر . لكن التصعيد الروحي ، في فرنسا ، وفي المانيا ، ضروري اليوم اكثر من أي وقت مضى . ان البورجوازية تريدان تقنع الآخرين وان تقنع نفسها بأنها تتطلع الى غايات عالمية بدفعها عن مصالحها

الخاصة : والمهمة الملقاة على عاتق « واضعي عقيدتها الفعالين والمفكرين » هي اختراع عدالة عليا يصبح الظلم باسمها مبرراً . هناك ما يدعو الى التساؤل لماذا يعاند المثقف الغربي ، المقهور عملياً والفارق نظرياً في تناقضات لا حل لها ، في الدفاع عن حضارة مدانة تشک في نفسها . فما دامت حضارتنا ليست « الحضارة » بل فترة من التاريخ البشري فحسب ، فلماذا لا تتجاوز نحو كلية التاريخ والبشرية ؟ ويشير مونيه عن حق في « خوف القرن العشرين الصغير » الى ان مفهوم رؤيا يوحنا الذي يعبر « الضمير الاوروبي المبكت » عن نفسه من خلاله فد زيفه الخوف . ويقول . ان رؤيا يوحنا ، في الحقيقة ، ليست نشيد كارثة بل هي « قصيدة ظفر » ، وتأكيد للنصر النهائي للعادلين ونشيد هاذِ لملائكة الاملاء النهائي . أما فيما يخص « الاعضاء الفعالين » للبورجوازية ، فإن سبب هذا التزييف واضح . فالمملائكة النهائي للعدالة والاملاء يبدو ككارثة لأصحاب الامتيازات المستفرسين في الدفاع عن امتيازاتهم الظالمة . لكن سيبدو من الطبيعي ان يأخذ المثقفون ، المحبون للشمول باعتبارهم مثقفين ، جانب الانسانية بشكل عام ، ضد خصوصية مجتمع مдан . فلماذا يعاند الكثيرون منهم في اعتبار الانسان والبورجوازي شيئاً واحداً ، وبالتالي في التنبؤ وقد أخذتهم الرعدة بنهاية الانسان<sup>(1)</sup> .

---

١ - ان حالة دريو تستأهل البحث من وجهة النظر هذه . فقد كتب عام

ان هذا الموقف متناقض جداً حتى ان تييري مولنيري بالذات قد دهش لذلك . فقد سأله في ايار ١٩٥٣ ، في « المائدة المستديرة » ، بورجوaziَّ الغرب : بجمل القول ، ما الذي لا تعارض به الشيوعية ؟ لقد كنا حتى الآن نناضل ضد هــا باسم الرعب الذي توحى إلينا به . لكن اذا انقطع هذا الرعب ؟ « اذا تخلت الشيوعية عن الإرهاب ، ان استطاعت ، اذا جرئت على التخلص من الإرهاب ، فسيتوجب ان تتخلوا ، انتم ، عن انت تجدوا في الشيوعية نفسها الاسلحة التي تحاربونها بها . سيتوجب ان تجدوا في انفسكم ... لقد كان الدفاع عن الغرب حتى الآن سليماً . ان الغرب لا يريد الشيوعية . حسناً . لكن هذا لا يستطيع ان يحل الى ما لا نهاية مكان مستقبل مقتراح على البشر ،

١٩٢٧ في « الشاب الأوروبي » : « اذا مات الانساني ، فــا يهمنا ، في اللحظة التي يموت فيها ، هذا الكون الذي سيغتصب من الاخلاق أصنافنا العزيزة ، الجميلة . اني أنا لم كلثيراً ، وأرفع يدي ». لكنه كتب في ايلول ١٩٤٠ ، وهو يدعوه لدمج فرنسا بأوروبا تحكمها النازية : « تحول ، ان حياة الشعوب سلسلة من التحولات . ان الشعب لا يحتاز القرون الا بتغيير وجهه ، وفي كل مرة يأخذ فيها وجهاً جديداً ، يترك الوجه السابق يسقط مثل جلد ميت ، مثل مزقة من جسد - وفظيع منظر من تأمل نفسه بحب في ذلك الشكل القديم .. هؤلاً اذن من جديد التحول الفروري ، الحتمي ، في العرق والقلق ودم الكارثة . يجب على فرنسا ان تشيح عن القومي لتفوص في الاجتماعي ». فدريو يقبل اذن بأنه يجب ان نعرف كيف تتخلى عن بعض اشكال الانساني الخاصة . لننقذ الانسان . لكن التجاوز الذي كان يدعو اليه انا كان يخدم في الحقيقة مصالح طبقته ، شأنه شأن التجاوز اليوم نحو الحضارة ، نحو الغرب . ان « التحول » يصبح غير مقبول ما إن ينافق هذه المصالح .

ومعنى معطى لهذا المستقبل». سيكون من المنطقي ان نستنتج: اذا كانت اسباب كوننا معادين للشيوعية غير موجودة الا في الشيوعية ، وبخاصة اذا باتت غير موجودة ، فلنتخل عن معاادة الشيوعية . لكن معنى مقال مولنديه مختلف : ان ما يتمناه هو ان نساعد له على ايجاد تبرير موضوعي لهذه المعركة . ومرة اخرى ، لمَ هذا العناد ؟

الإجابة بأن المثقفين المعادين للشيوعية هم انفسهم بورجوازيون لا تكفي : فكثرون منهم لا يستفيدون تقريباً من المزايا المادية الموقوفة على البورجوازية . ثم ان «الاعضاء الفعالين» في طبقتهم يبقوهم جانباً الى حد ما ، من جهة اخرى . لكنهم ، على وجه التحديد ، ومن خلال رد فعلهم على هذا الموقف ، خلقوا لأنفسهم مصالح عقائدية يحرصون على الحفاظ عليها . والعدالة العليا التي عهد إليهم باختراعها ، والتي تناقض العدالة الأرضية ، لا يستطيعون ان يوضعوها الا في السماء : فهناك ايضاً يوضعون انفسهم . انهم يختلفون حقائق ابدية ، وقيمًا مطلقة . وهم اكثر تعلقاً بهذه الأوهام الشمولية من سائر البورجوازيين لأنهم صنعواها بأنفسهم . ثم ان العالم التصورى بالنسبة لهم ملحاً متعرج ضد وضاعة أوضاعهم ، انهم يهربون من طبقتهم ، ويسودون بشكل مثالي على الإنسانية قاطبة متباوزين الطبقات كافة . ومن هنا كان اشتيمازهم من الماركسية أشرس بكثير من اشتيماز البورجوازيين الفعالين : فالماركسيّة لا تعرف الا الأرض وتلتقي بهم بعنف بين البشر . وبالطبع ، انهم لا يعترفون

بالسبب الحقيقي لقدمهم . انهم يفضلون ان يعترفوا دون حياء بكونايس صبيانية : « اذا دخل الجيش الاحمر الى فرنسا ، اذا تسلم الحزب الشيوعي الحكم ، فسوف انتفي ، وأعدم » . انهم يحررون روايات عن المستقبل « لا تقرأ ليلاً » ، ويثنون مع تيري مولنطيه : « الماركسيّة تزيد موتي » . وفي الحقيقة ، ان ما يخشونه ، هو ان يصَفوا عقائدياً : او انهم يعلمون بالأحرى ان هذه التصفية قد تمت . ان الماركسيّة ، لا ترى فيهم ، وسطاء مقدسين بين المُشَكّل والبشر ، بل طفيليّين بورجوازيّين ، وعبرأ بسيطاً عن القوى الرأسالية ، وظاهرة تابعة سلبية ، وعدماً : وهذا غير مقبول بالنسبة لمن انحاز الى الابدية لأنه لم يجد مكانه في هذا العالم .

وهكذا فإن واضح العقيدة البورجوازية لا يتنازل عن اراده طبقته التي تنزع الى القول بذهب الخصوصية ، في نفس الوقت الذي يتمسّك فيه بالادعاء الشمولي لفكرة . ومن هنا لا يبقى له الا مخرج واحد : ان ينفي الخصوصية في اللحظة التي يطالب بها فيها . ان كل بورجوازي مهم عملياً بتقنيع الصراع الطبقي<sup>(١)</sup> . والمفكر البورجوازي مرغم على ذلك اذا كان يريد الانسجام مع فكره الخاص . انه يرفض اذن ان يعلق أي أهمية على الخصائص المتفرودة التجريبية لوقفه : وبالتالي على بمجموع

١ - يلاحظ آلان : « حين أسائل هل لا يزال للقطيعة بين احزاب اليمين واليسار ، وبين رجال اليمين ورجال اليسار ، من معنى ، فإن اول فكرة تخطر لي هي ان الانسان الذي يطرح هذا السؤال ليس رجل يساريّاً حتى » .

الخصائص المترفة التجريبية التي تحدد الموقف الحسي . ان العوامل المادية ليس لها في المجتمعات الا دور ثانوي . والتفكير يصعب هذه الاحتمالات . والانسانية متباينة من حيث المثلث . والانسان ، كما يخلق في السماء التصورية ، الوحيدة ، غير القابلة للقسمة ، المُجْمِعَة ، المُنْتَهِيَة ، هو الذي يعبر عن نفسه ببيان المفكرة . ان كل فلسفة للانسان وضعاها المثقفون البورجوازيون ، وبخاصة نظريتهم في المعرفة ، تهدف على وجه التحديد ، كما سرني ، الى دعم هذا الادعاء . لكن مذهبهم الوضعي أدنى أهمية بكثير ، باعتبار الموقف السلي الذي أشرت اليه ، من دفاعهم عن ذواتهم . ان اول همومهم هو التخلص من الماركسية . انهم لن يستطيعوا ان ينظروا بعين الجد الى افكارهم الا اذا ألغوا او لا النظام الذي يطرحهم ، انفسهم ، على بساط البحث . ان فكرهم هو او لا وبشكل اساسي فكر مضاد . ومعظم كتاباتهم هي بالفعل توجهات على الشيوعية .

ويوجد هنا تناقض غريب : ان المفكر البورجوازي يتحتمد ، لأنه يعيش تنبؤات الماركسية في الرعب ، في تجريدتها من كل قيمة تنبؤية بله منهجرية . انه يتملص من هذا التناقض بتضاؤم مأساوي يحيل الضرورة الى عرض . سوف تنتصر الاشتراكية : لكن تتحققها لن يكون على الاقل نتيجة جدل عقلي بل كارثة مجردة من المعنى . لهذا يقنع المثقف الغربي بالارتعاد ويغير رؤيا يوحنا الى نشيد هول : انه يفضل ان يحكم على الانسانية بالعيب ، بالعدم ، على ان ينقض نفسه بنفسه .

# سـُـوـاـلـةـ الـفـيـوـعـيـةـ

يؤكـد بـرـيس بـارـان : « جـمـيعـ الشـاكـلـ هـيـ قـضـيـةـ رـأـيـ ». وهذا ما تـلحـ فيـ طـلـبـهـ جـمـيعـ الـانـظـمـةـ الـمـعـادـيـةـ لـالـشـيـوـعـيـةـ . وـاـصـرـارـهـاـ عـلـىـ هـذـهـ النـقـطـةـ مـلـحوـظـ ، منـ خـلـالـ الفـروـقـ الثـانـوـيـةـ . انـ الـوـاقـعـ المـادـيـ لـلـبـشـرـ وـلـمـوـقـعـهـ لـيـسـ لـهـ حـسـابـ : اـنـاـ المـهـمـ فـقـطـ رـدـودـ الـفـعـلـ الـذـاتـيـةـ . انـ الـاشـتـراـكـيـةـ تـتـفـسـرـ لـيـسـ بـقـوـةـ نـسـاطـ اـنـتـاجـ بـلـ بـلـعـبـ اـرـادـاتـ ، دـوـافـعـهاـ خـلـقـيـةـ اوـ عـاطـفـيـةـ . انـ الـفـرـورـةـ الـاـقـتـصـادـيـةـ لـيـسـ الاـ تـجـريـداـ : فـالـاـقـتـصـادـ ، عـنـدـ التـحـلـيلـ الـاخـيـرـ ، مـنـوـطـ بـعـلـمـ النـفـسـ . وـالـطـبـقـاتـ بـشـكـلـ عـامـ ، وـالـبـرـولـيـتـارـيـاـ بـشـكـلـ خـاصـ ، تـحدـدـ نـفـسـهـ بـمـحـالـاتـ نـفـسـيـةـ<sup>(1)</sup> .

لـقـدـ كـانـ نـيـتـشـهـ اـوـلـ مـنـ اـقـرـحـ تـفـسـيرـ آـنـفـسـيـاـ لـلـتـارـيخـ وـالـجـمـتمـعـ : « الضـعـيفـ تـؤـرـقـهـ الرـغـبةـ فـيـ الـانتـقامـ » ، وـالـخـقـدـ . وـالـقـويـ يـمـيلـ إـلـىـ

---

١ - انـظـرـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـوعـ كـتـابـ بـيـرـ نـافـيلـ : « عـلـمـ النـفـسـ ، الـمـارـكـسـيـةـ ، الـمـادـيـةـ » الـذـيـ درـسـ فـيـ هـذـهـ الـمـسـاـلـةـ مـفـصـلـاـ .

العدوان» . ولقد لاقى مفهوم الحقد هذا لدى مفكري اليمين ترحيباً فائق العادة . ولقد استخدمه شيلر لا ليهاجم المسيحية - التي هي بالنسبة له مذهب حب ايجابي - بل ليهدم كل اخلاقية اشتراكية : ان الاشتراكية تعبر بالضرورة عن حقد ضد الله وضد كل ما هو إلهي في الانسان . ويتبينى شيلر ، مع بعض الفروق ، كلمة راتونو : « فكررة العدالة تقوم على الحسد » . ان « البروليتاريا الاخلاقية » ، الواقعية المخطاطها ، تتمنى ان تحط من هم اعلى منها . ونقض حق الملكية بشكل خاص « يقوم على حسد الطبقات العاملة للطبقات التي لا تستمد غناها من عملها الخاص » .

وتتقلص الفكرة الثورية الى « تمرد العبيد الذين يحمسون الحقد » . (« إنسان الحقد »، ص ١٤٥) .

وهذا التصوير النفسي قد يبدو بمحلاً الى حد ما : ولإضفاء طابع العمق عليه ، جلأوا الى التحليل النفسي . فيفسر ايسitan في « علم الثورة » العقلية العمالية اعتناداً على آراء فرويد . ويفضل عليه دي مان الذي لاقى كتابه « ما وراء الماركسية » رواجاً كبيراً في فرنسا حوالي ١٩٢٨ ، آدلر : لقد اكتشف عند تحليله البروليتاريا نفسياً ، عقدة نقص بينة جداً . وروح الصراع الظبي تسببه غريزة عميقـة : التقدير الذاتي . والعامل يدافع عن نفسه ضد شعور بالنقص « بردود فعل تعويضية » . والموقف الثوري هو احد ردود الفعل هذه . وفي عدد من الدراسات اللاحقة ، تبدو عقدة النقص نتيجة ظاهرة اكثر عاطفية :

الحرمان . ان الشعور بالحرمان يسبب للعامل خيبة وعصاً  
يتتصعدان في الموقف الثوري . وبجمل القول ان مصيبة البروليتاريا  
كلها تتأتى من كونها تظن نفسها بروليتارية . وهذا الاستنتاج  
ينسجم مع تأكيد شبنغلر : « لا توجد طبقة عاملة إقتصادياً »  
« أقول الغرب » ، الجزء الثاني ، ص ٤٤٠ ) . ويتطور تويني  
الفكرة ذاتها . ( « التاريخ » ص ٤١٦ ) . « ان البروليتاريا  
هي بالفعل حالة نفسية أكثر منها نتيجة لظروف خارجية ...  
انها عنصر او زمرة اجتماعية تقف في ادنى مجتمع معطى دون  
ان تشكل جزءاً منه فعلاً<sup>١١</sup> ... ان السمة الحقيقية للبروليتاريا  
ليست لا الفقر ولا النسب الوضيع ، لكن الوعي والاحساس  
بأنها محرومة ». ويتبين موذن وحرفيّاً تقريباً هذا التعريف في  
« الحرب على بساط البحث » . فكلمة بروليتاريا عنده تعني :  
«من يشعرون في حقل القوة والعمل لخضارة ما انهم محرومون» .  
قد ييل قارئ ساذج الى ان يطرح على نفسه سؤالاً : لم  
يشعرون بأنهم محرومون ؟ ويحاول موذن ان يرسم جواباً في  
كتابه « علم اجتماع الشيوعية »<sup>١٢</sup> . انه يطور الى مala نهاية

- ١ - يكتب تويني ، في مقطع آخر ، « اخلاقياً » بدلاً من « فعلاً » .
- ٢ - سأستشهد كثيراً بهذا الكتاب الذي يبدو ذرورة من ذراً معاداة الشيوعية الحديثة . ان موافرو يهدف الى الابتكار بما يبتله من عنابة لاخفاء مصادره ، فهو لا يستشهد ابداً ، حتى حين يخطئه رأياً . وفي الحقيقة ، اذا كان يهمنا هنا ، فإنما من حيث كثرة الافكار المشتركة التي يستغلها : ومن بينها فكرة الحقد .

فكرة ان الصراع الطبقي يعود الى مجموع من ردود الفعل النفسية،  
اصلها الحقد . والماركسية مكونة من « مزيج متفجر : الجدل  
والحقد .. ويتلاقى الحقد الذي يحرك الجدل مع حقد فئة اجتماعية  
ولدت في ظروف فظيعة ، والحقد عندها ضرورة تاريخياً .

« ... كان لا بد لولادة مذهب الثورة هذا من حقد فردي  
غذته قوة كبيرة من التغلغل الثقافي والتركيب يفسر حقداً  
جماعياً ، حقداً تاريخياً .»

يافق مونرو اذن على ان حقد البروليتاريا « ضرورة تاريخياً ».  
ويكفي هذا التنازل ، اذا اخذ بعين الجد ، ليهدم كافة نظرياته :  
فليس هناك ضرورة الا من جانب الواقع . واما قبلنا بأن هذا  
الواقع يفرض على البروليتاريا وعيّا ثورياً ، فإن المذهب النفسي  
كله سينهار آنذاك ونلتقي بالخطط الماركسي من جديد . ويضيف  
مونرو على سبيل الملاحظة ، ليزيد في الالتباس : « نحن متلقون  
هنا مع هيغل على دور الشر كمحرك تاريخي » . وهذا التقرب  
يظهر بخلاف نيته السليمة : فالشر واقع موضوعي ، وان نرى فيه  
محركاً تاريخياً فهذا يعني ان نعرف التاريخ بأنه تطور اساسه  
موضوعي . في حين ان مونرو ، بتوحيده بين فكرة الشر وفكرة  
الحقد ، يعرف للتاريخ تعريفاً نفسياً . وفي الحقيقة ، انه يمر ، في  
باقي الكتاب كله ، بالضرورة التاريخية مرور الكرام عن عمد .  
ونحن ندرك « القوة المتفجرة » للحقد بتدخل عوامل خارجية  
جذرية عن الموقف المعاش .

اي عوامل ؟ حسناً ، بالطبع ، عمل المحرضين ، اي

الشيوعيين . ان الحزب الشيوعي ، الذي يعمده مونرو باسم « المشروع » ، يختهـد في استغلال وتنظيم الاستياءات الموزعة : « ان المشروع يستخدم ، ويغذي ، ويحاول ان يرفع ، الى اقصى درجة من العنف الفعالـي ، احقاد الطبقات ، والجماهير ، والافراد ، ودوره هو على وجه التحديد ان ينظم من الخارج الاستياءات والمستائين من مختلف الانواع » .

بالطبع ، ان هذه الدسائـس لا تتفـسر ايضاً بـغائية موضوعـية . ان الحزب ، الغـريب جـذرـياً عن البروليتارـيا ، لا يتبع اي هـدـف يمكن ان يعني هذه الاـخـيرـة : انه يؤثـر عـلـيـها من الخارج ، بطـرـيقـة آـلـيـة ولا معـقولـة . فهو مـثـلاً اذا كان « يحرـض الجـاهـير المستـعـمـرة » فـليـس ذـلـك لـأـنـه يـتـبـنى من كل قـلـبـه رـغـبـتها في التـحرـر ، بل لـكـي « يـزيـد في جـمـيع تـناـقـصـات العـالـم الرـأسـمـالي ويـسـمـهـا » ( ص ١٩ ) . ليـكـن . لكن لمـهـذه السـيـاسـة ؟ هنا يـسـتـعـير مـونـرو جـوابـه من بـرـنـاهـم . لقد تـعـلم بـرـنـاهـم من « المـكـيـافـيلـين » وـعـلم مـفـكـري الـيمـين الـمـبـهـورـين هذه الحـقـيقـة العمـيقـة : ان الرـؤـسـاء ، وـالـدـوـلـ ، وـالـاحـزـابـ ، لا تـهـدـف اـبـداً من السـلـطـة الى شـيء آخر غـير السـلـطـة . وـاـذا وـضـعـ رـجـلـ عمل نـصـبـ عـيـنـيه هـدـفـاً مـوـضـوعـياً ، كالـصالـحـ المشـترـكـ ، اوـ الحـرـيـةـ ، فـهـذـا فـقـطـ كـيـ يـغـشـ عـالـمـهـ وـمـنـ السـذـاجـةـ ان نـصـدقـهـ . وـفـيـ الحـقـيقـةـ ، اـنـ المـوـضـوعـ الـوـحـيدـ للـعـلـمـ السـيـاسـيـ هوـ « النـضـالـ منـ اـجـلـ السـلـطـةـ تـحـتـ اـشـكـالـ عـدـيـدةـ مـعـتـرـفـ بـهـاـ اوـ خـفـيـةـ » . وـتـسـمـعـ هـذـهـ الـبـدـيـهـةـ لـبرـنـاهـمـ بـأـنـ يـعـرـفـ الشـيـوـعـيـةـ : « مـؤـامـرـةـ عـالـمـيـةـ هـادـفـةـ اـلـاحـتكـارـ السـلـطـةـ فـيـ عـصـرـ اـفـوـلـ الرـأسـمـالـيـةـ » . وـيـشـبـهـ

مونرو هو ايضاً المشرع، يجمعية سرية تسعى الى الحكم للحكم: ان الاسم نفسه الذي يعمدها به قد تم اختياره ليشير الى طابعها الخاص والأناني .

ان المكيافيلية تكمل بانسجام نفسية الحقد . ان العمل الثوري ، الذاتي في دوافعه ، ذاتي ايضاً في غاياته . ان رجالاً تحرّكهم « اراده القوة » ينمون لدى الذين يعرفون انهم عاجزون مشاعر النقص ، والحسد ، والكراءمية .

ان مزايا مثل هذا التفسير جلية . وبجمل القول ، ان جميسع مصائب البشر خيالية . وتكلفهم الادوية المثالية . لا جدوى من تغيير العالم : يكفى ان يتعدل رأى البعض عنه . كان نيتشه يقترح ان يُمنح المحرومون وهم بالكرامة . ويقترح دي مان ان تخفف عقد النقص التي يشكوا منها العمال بمنحهم بعض المكافآت الاجتماعية . واليمين المستنير يعترف عن طوعانية بأنه يجب ان تدمج البروليتاريا « اخلاقياً » بالمجتمع . باختصار ، انهم يقولون بتحويل عقلية المضطهدِين لا الموقف الذي يضطهدُهم . وعلى هذا النحو المرائي يتصرف رجل الاعمال الكبير<sup>(١)</sup> في اميركا . انه يستخدم « العلاقات العامة » لينشر لدى المستغلين الشعارات المفيدة للمستغلين . ولقد اخترع تكنيك « هندسة الانسان » الذي يأخذ على عاتقه تقييم الواقع المادي للوضع العمالي تحت

---

١ - انظر للمزيد من التفصيل في مقال « ميشيل كروزيه » : « هندسة الانسان » المنشور في « الأزمنة الحديثة » ، توز ١٩٥١ .

تزييفات اخلاقية وعاطفية . وهم يجتهدون ، عن طريق تربية اختصاصية ، ومناهج في القيادة مدرورة بعنایة ، في اقناع البروليتاري بأنه ليس ببروليتاري بل مواطناً أميركيّاً . وإذا رفض أن يخدع ، فإنهم يعتبرونه شاذًا وقد اخترع من أجله علاج « بإزالة الكبت » .

وبديهي انه لواجب انساني ان يحارب المحرضون العاملون على تفجير العصاب الثوري . ولا حاجة الى القول ان المذهب الذي يقولون به لخدمة اغراضهم الدينية لا يمت بصلة الى اي حقيقة : ان اعداء الشيوعية ليسوا سنجاً الى حد يعترفون لها معه بضمون قد ينعكس فيه بعض الواقع . لقد تعلموا من سوريل ان الاسطورة قوة ديناميكية لها قيمتها ليس من وجهة نظر ثقافية بل في فعاليتها . انهم يأخذون عن المكيافيليين قولهم إن الافكار اسلحة حرب تهدف الى خلق مواقف عاطفية وفعالة . وينادي بعض الاخصائين بمعرفة الماركسية وانتقادها علمياً ، لكن الفالبية العظمى من خصومها تحقر ان تعرفها . ويعرف تيري مولنبيه ان مذهب ماركس ، والجلز ، وللينين هو « شبه مجهول من قبل الذين يحاربونه او يعتقدون انهم يحاربونه » . ويستشهد برنام بهذه الجملة لباريتتو موافقاً : « اما بخصوص تحديد قيمة الماركسية الاجتماعية ، ومعرفة هل النظرية الماركسيّة عن فضل القيمة صحيحة او كاذبة ، فهذا لا يقل اهمية تقريراً عن معرفة هل يحيو العهد الخطبيّة حين نسعى الى تحديد القيمة الاجتماعية للمسيحية ، وهذا ليس له ادنى اهمية » .

ان الماركسية ، شأنها شأن الوضع الذي تدعى تقسيمه ، تفسر بصدق ذاتية . وهي احد اشكال المذهب الانساني الحديث الذي ليس هو ، حسب رأي شبنغلر ، « الا نتيجة حقد مكبوت تجاه الأسرة والبيئة » . ان حب « كل ما له وجه انساني » يعبر عن كراهية الله . كما انه « احتجاج ضد حب الوطن » . و اذا اردنا المزيد من العمق ، فإنه وسيلة للهرب من الكراهية التي تحملها في ذواتنا والإشباعها . وينظر دي مان الى الاشتراكية نظرة اكثر استحساناً: انه المعنى الاخلاقي الفردي الذي سيكون دافعها الحقيقي . ان الاشتراكي مقاد ، لأسباب تكتيكية ، الى ان يضفي على مذهبة مدى موضوعياً : لكن هذا ليس الا تقنيعاً . وماركس ، من بين الآخرين ، « لم يمثل الاشتراكية على انها ضرورية إلا لأنها سيعتبرها ، على اثر حكم مفروض مسبقاً بشكل ضمني ، مرجوة » . ونحن نجد فكرة مماثلة لدى شبنغلر : « ان الاحزاب السياسية قد اضفت طابع النبل الى حد ما ، اليوم كما في ايام الهيلينيين ، على بعض الزمر الاقتصادية التي تريد ان تحسن من مجرى حياتها برفعها الى مستوى تنظيم سياسى » ، كما فعل ماركس بالنسبة لعمال الصناعة ». ويقدر مومنو ان ماركس قد خضع لحافز لاعقلي ، اكثر مما خضع لشاغل اخلاقي . ولقد ذهل ماركس والماركسيون من بعده لولادة الرأسمالية وبلوغها الذروة . و « قد حددت نتيجة المضاعفات العاطفية المستقبل الذي يرجون تحقيقه » . وبالطبع ان ماركس رجل حقد مثله مثل الذين يتوجه اليهم والذين يتبنون آراءه .

حدق ، اراده اخلاقية ، مضاعفات عاطفية : على كل حال ، يوجد تحول فردي في مذهب الماركسيّة . ورواجها يفسر بأسباب خارجة عنها . وهذا برأي باريتو حدث اجتماعي يمكن للقوانين السوسيولوجية ان تفسره : وخاصة قانون « الاشتراكات » ، وقانون « المتبقّي » اللذيناكتشفهما باريتو . ويرى تويني في الماركسيّة « التقنيع اليهودي لرؤيا يوحنا » . ويرى فيهما كلياً « أورثوذكسيّة ». ويعزو آرون قوتها المتفجرة الى التحاصم مقوله مسيحية بمقولة بروميثيّة بمقولة عقلانية . لكن ما يرده الجميع دون كلل هو على الاخص ان الماركسيّة تتملق غريزة الجماهير الدينية : أنها دين .

كتب دي مان : « لا توجد اشتراكية دون دين ما . ان سبب الحافز النفسي نحو الاشتراكية يكن وراء كل واقع في العالم » .

وكتب آرون : « ان الاتحاد السوفيaticي خرافة ». وفي « الحروب المتسلسلة » يطور بإسهاب هذه الفكرة المأخوذة عن تويني : « ان الماركسية هرطقة مسخحة » .

ويشكر ستانسلاس فوسيه في « حرية الفكر » ، حزيران ١٩٤٩ ، بردا ييف على انه كشف له منذ زمن بعيد عن ان الماركسية دين ، ويستنتج على طريقة باريتو : « ان عقائد الماركسية لا تهم كثيراً . انا المهم السيطرة على النفوس ، ما دامت هناك نفوس ، والعملية السحرية او التكتيكية ، وعمل الكاهن الذي يخضع العقول كي يتاح له ، باسم الوهية ما ، ان

يشنی الارادات ». .

ويقوم كتاب مومنو بأكمله على هذا التشبيه . فالشيوعية هي « إسلام القرن العشرين » ، و « المشروع » هو « الصورة الدينية لقسمة الإنسانية ». و « المشروع الشيوعي هو مشروع ديني ». و « الشيوعية تطرح نفسها على أنها دين علماني ودولة عالمية في آن واحد . وهي كدين علمي تجتذب الأحقاد »، وتنظم الحوافر التي تشير البشر ضد المجتمعات التي ولدوا فيها ، وتجعلها فعالة ، وتسرع بتلك الحالة من انقسام هذه المجتمعات وانشقاق جزء من قواها الحية انشقاقاً يجعل بوتائر الانحلال والهدم ، ان الاشتراكية « تبشر بمسیح للجنس البشري » .

ويجب ان نستشهد ايضاً بقول « تعصب الماركسيين » الذي يحتجد فيه تييري مولينيه ان يشرح الماركسية بالفاظ دينية . فهو يقول إن الفردوس قد نقل من السماء الى المستقبل . ونحن نجد في مذهب ماركس ، الذي رفع الخلق التاريخي الى مستوى مطلق القيمة ، تعالياً ما فوق التاريخ للقيم و وعداً بسلام في عالم آخر . اذن فهناك دين ماركسي : « دين الانسانية التي يجب ان نوجدها ، او الانسانية التي يجب ان نحققها » .

ان النهج الذي يفصل الشيوعية عن جميع أنسابها الواقعية ويعرفها على أنها شكل مغض جلي أيضاً أكثر في مقال آخر لتيريري مولينيه : « وجهه ميدوزا في الشيوعية ». فالمؤلف يتساءل : لم تقتضي كل ثورة ارهايا ؟ ويدعوه بترفع جميع الاسباب الموضوعية . وفكرة ان مشروع انساب الملكية لا

ها هو اذن حساب الماركسية قد سويَّ : إنها تتخلص إلى ظاهرة نفسية - اجتماعية مجردة من المعنى الداخلي . إنها دين لا يأبه للألوهية او للمقائد ، بل لمكيافيلية الكهنة فحسب : إنها أداة بسيطة بيد الشروع الذي يستغل حسابه السذاجة .  
الإنسانية .

بيد ان هناك مشكلة لا تزال تصدع رؤوس مثقفي اليمين على نحو غريب : وجود مثقفي اليسار . انهم غير محروميين ،

مثل البروليتاريين ، ولا يفصحون عن ارادة القوة تلك التي تحرض المحرّضين : فكيف يتفسّر ضلالهم؟ ولا جدوى من البحث بعيداً جداً : تكفي بضعة تعديلات ، ويُمكّن بعدها لمفهوم الحقد ان يفيد هنا أيضاً . انهم يعلّمون ان اعضاء « الطبقة المثقفة » – ولو ولدوا من اسرة فرنسيّة بورجوازية – يشعرون بأنهم منفيون في المجتمع . وهم ، على كل حال ، لا يختلّون فيه مكان الصدارة : وهذا يكفي ليكرّهوه ويكرّهوا أنفسهم . ويقول آرون ان المثقف يكرّه البورجوازيين . ولا يتصرّر آرون لحظة واحدة ان هذه الكراهيّة يمكن ان تكون الوجه الثاني لعاطفة ايجابيّة تجاه سائر البشر<sup>(١)</sup> : فهي ، برأيه ، تنبّع بدليلاً من عقدة نقص . ان المثقفين « لا يستطيعون ان يبلّغوا المرتبة الأولى الا بإقصاء الزمرة الاجتماعية التي تدين بقوتها في الغرب الى الثروة » ، وتدين بهذه الثروة لصدفة الاعمال ، او الوراثة ، او المواهب الاستثنائية . وهكذا فهم « يهرّبون نحو الوطن الأم الأحمر لأنهم يكرّهون المجتمع الذي يعيشون فيه<sup>(٢)</sup> » .

١ – انتا لنذكر الحوار بين جانيت فيرميرش وبين نائب يميني . فقد هتف هذا الاخير : « ما اكثر الحقد في قلب امرأة ! » فأجاوبت : « لا تستطيع ان تخط الشعب دون ان تعتقد على مغضبه مذهبيه ». لكن النفسية البورجوازية لا تعرف بالأصل والصدق الا للعواطف السالبة .

٢ – (« الحروب المتسلسلة » ، ص ٤٦٠ - ٤٦١) . وقد ندهش من ان آرون يتبنّى عن المثقف مفهوم شخص مثل فرانسواز جيرو ويصوّره على انه غاضب يصرّه الفن والنفوذ الاجتماعي . وهذه النظرة تصدر كما هو جلي عن منطق مذهب ذاتي متطرف الى حد العبث . ان المثقف ، المقطوع من نشاطه ،

لقد حاول مونرو تفسيرات أكثر نفاذًا قليلاً ، لكنه لم ينجح في التظاهر بالتعقيد الا بفضل إيهام تام . ويجب ان نستشهد بالقطع الذي يتكلم فيه عن الطريقة التي نجح الشيوعيون بها في إطار الرأي العام على القنبلة الذرية : « ان الشيوعيين ، باستخدامهم المناهج النفسية ، وبلعبيهم بالدلوافع الدينية ، والأخلاقية ، والميتافيزيقية ، يهاجمون العلامة الذين سمحوا بصناعة هذه الاسلحة . انهم يعملون على ان يعتقدون الذين يقومون بحسابات الأسلحة الجديدة واحتراعهما ان من واجبهم الأخلاقي ان يسلموا الاسرار ، لا الى روسيا والجنود الروس مباشرة ، اما الى خدام ، ورسل ، ودعاة مفهوم عن العالم « اكثر عدلاً » . كيف يتم هذا العمل ؟ علام تقوم منهاجه ؟ ان مونرو يشرح ذلك بعد عدة صفحات :

---

والقطوع نشاطه عن غاياته ، لا يعود ، على صعيد مكيافيلي ، الا اراده قوة أشبعت اشباعاً متراصعاً : لكن هل يفهم آرون نفسه مثاريده على هذا النحو ؟ وهل يعتقد صدقآ ان ايرين جوليوا كوري ترتد غضباً حين تفكك بالدوقة وندسور ، وان آنستيان يغض على اصابعه ندماً على انه ليس آغا خان ؟ اذا كانت مثل هذه المشاعر موجودة ، فإنها لا يمكن ان توجد على كل حال الا عند المثقفين البورجوازيين . ومن جهة اخرى ، فان من الصحيح ان « الاعضاء الفعالين » في طبقتهم يفصحون عن احتقار معين لوابعى العقائد التصوريين هؤلاء ، ولا يكادون يفتحون لهم صالوثتهم . أما المثقف اليساري فليست به أي رغبة في الاختلاف اليها : انه لا يقبل مطلقاً ان تضع القوة والثروة الانسان في المرتبة الاولى . ولا يستطيع امثال آرون او مونرو ان ينسبوا اليه نوعاً من تضخم القيمة غريباً عنه كل الغربة الا بواسطة ظاهرة اسقاط .

١ - « علم اجتماع الشيوعية » ص ١٣٠ .

«ان السياسات الشيوعية تعرف ان الانسان يؤخذ بالحاجة ، بالهوى ، بالرذيلة ، بالضعف الذي يجذبه . ان « النقطة الضعيفة » في كل فرد ، التي يفيد الاعتماد عليها ، هي « النقطة القوية » لمثل هذه الفئات » .

اننا نفترض اذن ان جهازاً من الاخصائين الشيوعيين في علم النفس يتجلو في اميركا مقدماً لعلماء الذرة المال ، والحظوة ، والنساء ، والمخدر ، والوسكي ، والصبيان الصغار حسب النقطة الضعيفة في كل واحد . فكيف يؤدي استغلال هذه النقطة الضعيفة الى ايقاظ «أمر خلقي » في قلوب العلماء ؟ ان العملية تظل غامضة . ومن المناسب اللجوء ، لإزالة هذا القموض ، الى علم النفس العميق . ويشرح مونزو في الفصل الذي خص به « نفسية الأديان العلمانية » ان الأفراد المصابين بالعصاب الخاص يجدون في الاشتراك بعصاب جماعي تسكيناً لا لامهم . وهو يصف بإسهاب المذهب الذي يتعرض له المثقفون الشيوعيون بشكل جماعي : لكنني مرة اخرى أسأل ، كيف يصاب المرء بهذا المرض ؟ ولم لم تنتقل عدواه الى مونزو مثلاً ؟ ويستعين مونزو في النهاية بتفسير آرون : المثقف اليساري يحركه الحقد . ان الشيوعية « تصور نفسها على أنها ارتقاء لأولئك الذين يقدرون انهم لن يخسروا شيئاً وسيربحون كل شيء من حدوث تغير جذري : وهذا يعني ... جميع الذين يشعرون بأنهم يعيشون على الهاامش وإن كانوا غير محروميين بالمعنى الصرف لهذه الكلمة ( هذه هي الحالة الخاصة لمن يكوتون الطبقة المثقفة

الاتتلجنسيا ) ...

ان موزو اذن، رغم المصطلحات السوسيولوجية والتحليلية النفسية التي يستعملها ، لا يأتي بأي حل محدد للمشكلة وهي : لم بعض المثقفين يساربون ؟ ولقد بحث كوستلر عن اجوبة في علم النفس . فهو يرى ان علينا ان نأخذ في حسابنا « تعب المراكز المذهبية<sup>(١)</sup> ». وهذا التعب يتأتي من « إضعاف عام للروابط بين الخلايا الدماغية التي يجب ان تمر منها الإثارة العصبية ... وقد يحدث هذا التعب نتيجة اغتصاب لنهائي لوعي الذات » . وفي عـدد حديث من « الأدلة » اخذ كوستلر على نفسه مشقة تحرير « مرشد صغير لأمراض العصاب السياسية »<sup>(٢)</sup> . لكن جميع هذه التفسيرات تبدو ، في مجموعها ، غير كافية بالنسبة لرجال اليمين انفسهم . انهم يكتفون بلاحظة ان الاتحاد السوفياتي والشيوعيين يملكون « مناهج نفسية » ، تخيبة بقدر ما هي سرية . ولقد ذكرت صحيفة « ديانش - ماتان » ، لشرح رسالة جونفييف دي غالار الى هوشي منه ، فنون « غسل الدماغ » . ان الحزب الشيوعي ، المروج للمخدرات ، واكسير الحب ، والتعاويذ ، والمراكز الاجتماعية ، هو ساحر تتعرض الجماهير وبعض الافراد لمقاتلته الفامضة بشكل سلي .

---

١ - « الرجال عطشى » .

٢ - لا يفعل موزو وكوستلر شيئاً آخر سوى تقليد الافكار التي يستلمها الاخصائيون الاميركان في « المنيدة البشرية » ، التي يقول ميشال كروزيه ( في مقاله المذكور ) ان ابتكارها الاساسي « هو انها تعتبر جميع المعارضين مرضى و تعالج الآراء العدائية وروح التمرد على أنها شكل من اشكال العصاب » .

# نظرية النخبة

اكثر ما يذهل في جميع النصوص المعادية للشيوعية التي درسناها ، هي الفكرة التي تقترحها لنا عن الانسان . فهو مفصل عن الواقع سواء كان مثقفاً او بروليتارياً : إن وعيه يتلقى بشكل سلبي الافكار ، والصور ، والحالات الانفعالية التي تتسجل عليه صدفةٌ . وهي حالات تسببها تارة عوامل خارجية ، بعملية آلية محض ، وتختلقها طوراً الذات نفسها . وهي فريسة لهذيان الخيال . وهذه الفلسفة ، رغم التقنيات التي اخذتها عن التحليل النفسي وعلم الاجتماع ، ليست الا استمراراً للمثالية النفسية – الفيزيولوجية القديمة التي اعاد اليها يرغسون اعتبارها . « ان الادراك هلوسة حقيقة » : وهم لا يفعلون شيئاً الآن سوى إضفاء طابع العصر على كلمة « تين » القديمة هذه . واذا كانت ترد البروليتاري او سخط المثقف يبرره الموقف ، فهذه صدفة لا يملك المهووس اي وسيلة لضمانتها . انه مسجون دون عون في وجوده التلقائي . انه يرد على هلوساته

بانواع من التفريغ النفسي غير عقلية ، تتفسر إما بسر القوى العضوية ، وإما بنزوات الذاتية . وإذا كان لردود الفعل هذه غائية معينة، فإن هذه الغائية انانية محض . ان الفرد ، المفصل عن العالم ، مفصل عن اقرانه بالأولى . انه لا يتصل بهم ، ولا يشعر تجاههم بأي عاطفة ايجابية : ان دافعه الوحيد هو الاهمية التي يعلقها على شخصه والتي تعب عن نفسها اما بطعم فارغ ، واما بالحقد اذا لم يشبع هذا الطموح . وهذه الاخلاق هي ايضا غير جديدة : انه اتبني الافكار الشائعة لمذهب التشاؤمي المسيحي القديم وللرببية الطبيعية . ويشبه مونرو مثلا ، وهو يشرح كيف « يؤخذ » مثقفو اليسار ، هاتيك الامميات والزوجات ، المتسلحات بمحكمة مريدة ، اللائي يتهمن ابنهن او زوجهن بأنه استسلم لإغراء عاهرة . ان هذا العالم هو عالم غشاشين وخدوعين ، فريسة لاضطرابات مجردة من الغاية والمعنى : ان الانسان حيوان مضر واحق . هذا ما يزعمه مفكرو اليمين .

لاشيء مجاني في هذه الكلبية التي انقضت منها الاوهام . ولقد رأينا ذلك : ما من شيء يخرج صاحب الامتياز كوجود البشر الآخرين ، الجائعين ، المقلعين ، البرابرة . لكن اذا كان الانسان لا يستحق الا الاحتقار ، فلا داعي لوساوس الضمير : ان معنا الاذن في ان نعتبره صفرأ . لهذا فإن كل ادب يحظر من قيمته دون تيزيلعب لعبة اليمين . وهذا يجد فوتيل ، وسيلين ، وليلوتو ، استقبلاً حافلاً لديه .

بيد ان هناك صعوبة خطيرة : أفاليس الذي يفضح بؤس الانسان هو بنفسه انسان ؟ اذا كان كل وعي مصاباً بالهلوسة ، وكل عمل مغرياً ، فكيف سيقنعوننا بأنهم يحتكرون الحقيقة وان غياباتهم لها قيم موضوعية ؟ ولو تماذينا في هذه الكلبية الى حدتها الاقصى ، لأرغمنا على الاستنتاج مع « ساد » : « جمیع الاهواء معنیات ، يا جولیت ، الاول ظالم جداً نسبة الى الضحیة ، والثاني عادل للغاية نسبة الى من یمارسه ». لكننا نضطر في الوقت نفسه الى التخلی عن كل ادعاء بالعدالة الكونیة : فكل يناضل لذاته . وستؤدي هذه الواقعیة الى الاعتراف بالصراع الطبقي . وهذا على وجه التحديد ما يريدون تجنبه . ان البورجوازیة حریصة على ان یکون الحق من جانبها . لهذا فمن الضروري ان یرفعه مفكروها فوق الانسانية المبتذلة .

لقد ناب الدين مدة طویلة من سبب العقیدة لدى اصحاب الامتیازات . ان الانسان الذي دنسه الخطیئة الاصلیة ، الاعمى ، المذنب ، یبدو على ضوء المیحیة كأنه قيمة مضادة ، وليس هناك بالنسبة له إلا سلام واحد : ان ینخضع للمشیئات الالھیة . وهذه المشیئات تتجلی عبر العالم على ما هو عليه . وصاحب الامتیاز یقبل ، بكل تواضع ، بالمكان الذي خصص له فيه ؟ لقد اختاره الله ، وهذا یکفي لتأسيس حقه . اما المحرومون ، فإن الاستسلام وحده یسمح لهم باستحقاق التعويیضات السماویة التي تعید توطید العدالة عبر الابدیة ، ولقد كتب راهب من

سان - لود في حوالي العام الألف : « ان كل قوة تأتي من الله . ولقد أراد الله نفسه ان يكون بعض البشر سادة والآخرون عبيداً ، بحيث ان السادة مطالبون بإجلال الله وحبه والعبيد مطالبون بإجلال سادتهم وحبيهم ». ولقد جندت البورجوازية بدورها ، الله فوراً في خدمتها . ففي ١٧٦١ ، صرخ الاب هياستن دي غاسكينه ، وهو يخاطب من دعاهم « مدبري شؤون العناية الالهية » : « ان يسوع المسيح بنفسه ضمانتكم . وإنما بين يديه الالهيتين وعلى رأسه المعبود تضعون الرأسـال ». ولقد ناضل الفلاسفة في القرن الثامن عشر من أجل حرية الفكر . لكن ما إن استلمت البورجوازية حتى فهمت مقدار لزوم تغذية الشعب بـ « آمال دينية ». وفي الوقت نفسه ، كانت تتضمن نفسها ضميراً مرتاحاً . والى اليوم لا يزال هناك فكر مسيحي يستمد سلطته من الله لتبرير استغلال الانسان . كتب كلووديل في « مذكراته الميتافيزيقية » : « الانسان مادة اولية علينا ان نطرح عليه الاسئلة الضرورية لنجتخلص منه كل ما يمكن ان يعطيه . وبالتالي ، فمن المهاقة ان نلوم استغلال الانسان للانسان . بل على العكس ، ان الانسان شيء يتطلب ان يكون مستغلاً ». غير ان المسيحية أصبحت مذهبًا ملتبساً . ان بعض المسيحيين ، من يعتبرون ان الانسان خليقة الله ، يلحون على كرامة كل فرد وعلى المساواة الاساسية بين الجميع : انهم ينفون ان يكون الله في خدمة أقوىاء هذا العالم . على كل حال ، ان اللجوء الى الدين لا يمكن ان يكفي البورجوازي ، باعتبار انه

يتصور الله على صورته : ليس كسيد كبير متغسّف في مشيئاته ، بل كفكرة مستنيرة تخصّص قراراته لدّوافع عقلية . انه لا يتورع عن تصوّره على انه ضمانة للنظام القائم ، لكن لا بد له ان يثبت ايضاً ان هذا النظام يستحق تأييدها اهلياً . وانه اذا سمع الله قد انخفض كثيراً . ان وجوده مشكوك فيه جداً ، بعيد جداً ، ومقاصده أخفى من ان يكن ادخالها بطريقة مقنعة كضامنة للمراتب الارضية . لهذا لا بد من ايجاد شيء آخر .

لا بد من ايجاد شيء . انهم سيفرون في لمبة عدمية اذا فشلوا في انقاد البورجوازي بعد ان هدموا الانسان . انهم سيقموون بين الطبقات ، بعد ان نفوا اهمية الفروق المادية التي تفصل بينها عيانياً ، نوعاً آخر من التفاوت : ان الطبقة صاحبة الامتياز تسهم في واقع متعال يصعب وجودها . والكليلية الرجعية تتضمن بالضرورة صوفية . ولقد أدرك دريو ذلك حين كان يشكّو من انه لا يؤمن بالله : « الله ليس إلا ذريعة للهرب من البشر »<sup>(١)</sup> ، وفي هذا الكثير من خلوص النية . لكنه تدبر أمره ، فيما بعد ، ودون ان يزداد ايمانه ، كي يعلق « الشيء الانساني » بشيء ما آخر يدعوه « الاهلي » . فيكتب في « ملاحظات لفهم هذا العصر » ، وهو يريد ان يبين انه يجب ان نقبل بالفاسية : « ان الانسان بفقدانه حسن المجد يفقد حسن الخلود وبفقدانه حسن الخلود يفقد حسن الالوهية » .

---

١ - « للبيبة في المثل » .

« لكن اذا ماتت الالوهية ، فإن الطبيعة تكمن ، ويصبح  
الشيء الانساني الملاشي شيئاً فشيناً ملأ » .

من البديهي ان دريو ، الملحد ، لا يتصور الالوهية على انه ا  
واقع موضوعي وعياني : فهي بالنسبة له ، كما بالنسبة لكثيرين<sup>(١)</sup> ،  
الإسقاط المتعالي لصفة ملزمة لبعض البشر ترفعهم فوق البشرية .  
وتتخذ هذه الفضيلة الفريدة حسب الظروف أوجهها مختلفة :  
سرى ان الهزيمة النازية أدت على هذا الصعيد الى تحولات غريبة .  
لكن تعريفها ، على كل حال ، سلي : يقال عنها انها فائقة  
الانسانية لأنها لانسانية . انها « غير » الإنسان ، انها ما لا نجده  
عند البشر : والمفكر البورجوازي يرد هذا الغياب الى جوهر  
غامض لا يملكه غير البورجوازي . وب بواسطته ، تنقلب مصالح  
البورجوازية الى قيم . ويصبح وجود الامتياز مقدساً ،  
وامتلاكه حقاً ، ومارسته واجباً . ويدعى اصحاب الامتياز  
النخبة ، والامتيازات تفوقاً ، وجموعها الحضارة . اما الجاهير ،  
بالمقابل ، فهي العدم . ويكتننا آنذاك ان نؤكد ان اللامساواة  
تكميل العدالة .

ان الموقف الاستقرائي الاكثر جذرية هو ان تشطر  
الانسانية الى شطرين وان يعتبر هذا الانشقاق معطى . وقد  
أخذ نيته من ما كيافيل وغوبينو نظام المراتب الذي يعارض

---

١ - شيل واحد من الذين يتكلمون بدون انقطاع عن « الالهي » دون  
ان يعرف الله موضوعياً : وليس متعالاً يا سبز ايضاً الا الوجه الآخر  
لنياب ما .

السادة بالعيدي ، ويبني مثلها هذه المعارضه على واقع عري . ان وجود الكبار – النبلاء ، الابطال – فقط هو الذي له معنى . وسائل البشر يشكلون الجماهير : « رمل الانسانية : الجميع متعادلون جداً ، صفار جداً ، مستديرون جداً ». ويصرح نيشه : « يبدو لي ان الجماهير لا تستحق الانتباه اليها الا من ثلاثة واجهات نظر ... كنسخة شائعة عن الرجال العظام ... كمقاومة يصطدم بها العظام .. كأداة للعظام . أما ما دون ذلك ، فليأخذها الشيطان والاحصاء » .

كانت التقاليد النيتشوية ، الى ما قبل الحرب الاخيرة ، لا تزال حية . ويتبنى شبنغلر على الاخص فكرة ان النبل يتفسر بـ « عوامل الدم العنصرية » وانه وحده يملك وجوداً تاريخياً ، وجوداً واقعياً . « إن الصدفة المدعومة الانسان » ليست الا لحظة من التاريخ الكوني ، وهي تتعلق « بسر التقلبات الكونية الذي لا يمكن سبر غوره » . والحياة والتاريخ شيء واحد . « السياسة ، في اسنى معنى ، هي الحياة ، والحياة سياسة » . لكن من السذاجة ان نعتقد ان الحياة ، التي هي جوهر الواقع الانساني ، تسكن في كل فرد حي . ان الحياة تتجسد في الاعراق . ويتحقق العرق ، بشكله المباشر ، في طبقة الفلاحين التي هي الطبيعة ان جاز هذا التعبير . ويرتفع الى مستوى اعلى قوة ، عند اصحاب المراكز الرفيعة : انه يتحقق في طبقة النبلاء . « ان النبلة هي المرتبة بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ، زبدة العرق والدم ، تيار وجودي دون شكل مكتمل يمكن ». وهناك تجانس عميق بين النبلة والشعب ، يقوم على وقائع العرق ،

واللغة ، والمنظر الطبيعي ، المزود بروح والذي يملأ هو ايضاً  
 واقعاً جوهرياً . لكن هذا الواقع يذوي في المراتب الأخرى .  
 فالطبقة الكهنوتية في الحقيقة لا - مرتبة، وهي تعارض النبلة كما  
 يعارض المكان الزمان ، وهي « الاعرق » ، الكائن المستيقظ  
 الحر ، اللازمي ، الالاتاريجي » . اما البورجوازية ، فهي خاتمة  
 المعركة بين المدن وشعب الاريات ، ووحدتها تقوم على التنافض  
 فحسب » ولا تملك اي جوهر . ويتطور معها الاقتصاد والعلم ،  
 وتكون نفسها على أساس احزاب : وآنئذ تصعد الجماهير مما  
 يؤدي الى تدمير التاريخ . « ان الجماهير هي المطلق الذي يطارد  
 بمحقد كل نوع شكلي ، كل الفروق في الرتب ، والملكية الشرعية » ،  
 والمعرفة الشرعية » . انها « التعبير عن التاريخ الذي يؤدي الى  
 الالاتاريج ؛ ان الجماهير هي النهاية ، العدم الجذري » . يكتب  
 شبنفلر ، معارضًا انسان النخبة ، البطل ، بإنسان الجماهير ،  
 بالفرد المنظور اليه في وجوده المادي ، باعتباره خاضعًا للحاجة :  
 « التغذى والقتال : ان الفرق في الدرجة بين هذين الجانبيين من  
 الحياة تقدمه لنا علاقتها بالموت »<sup>(١)</sup> ... ليس هناك معارضة اكبر  
 من المعارضه بين موت الجماعة وموت البطل . ان الجوع يهدد  
 الحياة ، ويحطها ، ويدني مستواهما ، اقتصادياً ... والسياسة  
 تضحي بالبشر من اجل غاية ... اما الاقتصاد فيقضى عليهم

١ - سنعود الى هذه الحقيقة الاساسية : ان رجل اليمين يربط الحياة  
 بالموت . انه يتصور الحياة من خلال الموت .

فحسب . ان الحرب تخلق ، اما الجوع فيبيد جميع الاشياء الكبيرة ... ان الجوع يوقظ ذلك النوع من القلق المقيت ، المبتذل ، اللاميتافيزيقي كلياً ، الذي يتحطم تحته فجأة القالب الشكلي لثقافة ما ويبدا النضال المغض من اجل وجود الحيوان الانساني » .

وتروف البورجوازية صوتها مع شبنغلر في كل مرة تتهم فيها « بالمادية الدينية » الرجال الذين يسمحون لأنفسهم بأن يجعوا . بيد ان هذه الاخلاقيات الحربية تحرجها قليلاً . ففيتشه يعد جميع البورجوaziين من بين حبات الرمل التي تكون الجماهير . وفند ربط العديد من البورجوaziين ، في إبهام العقيدة النازية المقصودة ، قضيthem بقضية « عرق السادة » : غير ان السادة خسروا الحرب . ان البورجوازية ، على احترامها لسلسل الرتب الدموي ، باتت لا تجد سبباً لتعليق سائر الرتب الاخرى بها : فتققدم الروحانية على العرقية . والبورجوازية ، من وجهة النظر هذه ، اقرب الى شيلر منها الى شبنغلر . وبالفعل ، إن القيمة تتعدد بالنسبة لشيلر بد : « نبيل حيوى معين يقربنا من الاهلى » . ويحافظ شيلر على نقطة اساسية : ان القيمة ليست شيئاً يكتسب . انها تظل مرتبطة ، ما دامت حيوية ، بالعرق ، انها فطرية . لكن الواقع العرقى الخام بات لا يكفى ليكون اساساً لها : انه يبدو كتوسط نحو تعالى . وبعض النعم الروحية موزعة على البشر حسب اختيار عضوي مسبق . ويحتل البطل ، من بين الأوجه النموذجية التي يساعد اشعاعها البشر على السمو نحو الله ،

مكانة رفيعة ، لكن مكانة العبرى ارفع ايضاً والقديس هو الذي ينتصب في اعلى هذا التسلسل . واخلاق شيلر ، باستثناء هذه الفروق الضئيلة، قاسية على « الحيوان الانساني »، قسوة اخلاق نيتше وشينغلر . ولقد رأينا انه لا يستطيع ان ينسب الا الى الحقد « حب كل ما له وجه انساني ». وبالفعل ، ان مثل هذا الحب « يقوم اولاً على احاطة مظاهر الطبيعة البشرية واكثراها حيوانية ، اي ، على وجه التحديد ، على ما هو مشترك بين جميع البشر<sup>(١)</sup> ». ويضيف : « اننا نشعر اننا نستشف تحت هذه الانسانية كراهية حقيقية لقيم الایجابية التي لا تمت الى النوعي بصلة » . والمجموع النوعي للبشر هو « البروليتاريا الاخلاقية » ، التي تزعم كراهية لأرباب القيم وحقداً عليهم انهـا مبدعة القيم : ادعاء مضحك ! « ان الجماهير تحكمها بشكل مطلق القوانـين نفسهاـ التي تحكم قطعان الحيوانات . ولو وضع الانسان بين جماهير في الحالة الخام ، لعاد مجرد حيوان<sup>(٢)</sup> » .

ان الانتقال من العرقية الى الروحانية ينتهي عند ياسبرز . ان ياسبرز ، الالماني ، المهم عظيم الاهتمام بالنازية ، يعلم اليوم في المانيا مقهورة : انه يترجم افكار شينغلر ، وشيلر ، المتعرجقة الى لغة انسان مقهور . فالانسان ، المقتصر على ذاته ، يبدو له كما يبدو لها مجردـاً من كل معنى : « ليس الانسان كنسخة للموجود

١ - « انسان الحقد » .

٢ - « القديس ، العبرى ، البطل » .

التجريبي هو الجدير بالحب : بل النبل الممكن في كل فرد ». لكن فكرة النبل قد تعدلت بشكل عميق . ان النبل لم يعد اليوم وقفاً على طبقة ، او عرق ، او طائفة : انه صفة روحية » « افتتاح معين على المتعالي ». إذ ان هناك ، فوق العالم التجريبي المتعالي : انه وحده موجود فعلاً ، انه وحده الذي له قيمة . وليس للبشر كرامة الا بقدر ما يسهمون في كيّونته . والجميع يستطيعون الإسهام في ذلك : وبهذا المعنى تأخذ اخلاق ياسبرز ظاهراً من ديمقراطية . وفي الحقيقة ، أنها تطالب بمجتمع متعدد ومتسلسل الرتب . والمتعالي لا يتكشف بالفعل إلا للأشكال التي أخذت طابعاً فردياً : « للشعب » الذي « له روح » - لا الى الكتلة الغفل ، للأفراد الموطدة جذورهم في هذه الأشكال الجوهرية التي هي الوطن ، الأسرة ، العرق ، الخضارة - لا لإنسان الجماهير . وهكذا ، فإن النبل موقوف على قبضة من الكائنات . « إن مشكلة النبل الانساني تنحصر اليوم في الحفاظ على نشاط المتفوقين وهولاء لا يتتجاوزون الأقلية ». ان الغالبية العظمى من البشر ، المحبوبين في وجودهم التجريبي ، والذين لا تقوم بينهم الروابط غير لازمة الوجود ، ليست الا جماهير . يتعرض فيها الجوهر الانساني للنفي . « ان الإنسان » ، باعتباره منتمياً الى الجماهير ، لم يعد ذاته . ان الجماهير هي قبل كل شيء عنصر مُذوّب ». « ان الجماهير لا تعرف تسلسلاً في الرتب . أنها لا واعية ، متأثرة ، ذات طابع كمي ، دون خط ودون تقاليد ، لا شكل لها ، فارغة . أنها الميدان الختار للدعابة ، قابلة للتلقى الإيجاء ، غير مسؤولة ».

ومستواها من الوعي احط مستوى » .

هناك اجماع : ان الانسان الذي لا يتجسد فيه شيء غير ذاته - الدم ، الحياة ، المتعالي - هو « جذري معدوم » . وهم يكتهدون في ان يبيّنوا لنا انه لا يملك وجوداً في اي ميدان . ان تاريخه الخاص يفلت منه وهو عاجز عن التعالي به .

# التاريخ

يفلت التاريخ من البشر بشكل عام ومن الجماهير بشكل خاص : ولكي توطد هذه الموضوعة فإن أهم الحجج التي يرجعون إليها هي حجج برنهايم ، وشبنغلر ، وتونيني . ولا مجال هنا للدراسة مذاهبهم بالتفصيل لكننا سنحاول أن نستخلص منها روحها .

يؤكد برنهايم ، الوفي للمبادئ المكيافيلية ، ان الطبيعة الإنسانية رديئة وانها جامدة : ان هذا التشاوؤ يكفي لإدانة التاريخ . اذا كان الانسان لا يتغير ، فإن التقدم مستحيل ، وليس لأي تبدل خارجي من معنى . وقد اخذ برنهايم عن باريتو نظريته في « دوران النخب »<sup>١١</sup> . ان التاريخ لا تصنعه الجماهير ، بل اركان حرب . واذا كان يتغير ويتجدد ، فهذا فقط لوجود صراع بين النخب التي تطمح الى الحكم : فبعضها يتصرف ، وبعضها

---

١ - النخب : جمع نخبة . « المترجم » .

ينتصر . ويتوافق مع هذا التنوع تعدد المضارات : توجد بين هذه الاختير بعض روابط علية لكن تعاقبها لا يزيد اتصالاً بذلك . وحلول فريق محل فريق آخر ليس الا تقمصاً مجرداً من كل غائية . فالافراد الذين يقودون العالم لا يهددون ، بالفعل ، الى اي هدف موضوعي ، من جهة أولى : انهم يريدون الحكم للحكم . ومن جهة اخرى ، لا يمكن لأي تطور اجتماعي ان يحسن مصير الانسان . وانها لخدعة كغيرها من الخدع الزعم بتحريره ذات يوم من الحاجة لأنه بالتعريف « حيوان يرغب<sup>(١)</sup> ». ومثل هذا المذهب ليس ماؤسرياً بالمعنى الكامل ، فهو لا يتكلم لا عن الانحطاط ولا عن رويا يوحنا . وبرنام يتوقع تطوراً عقلانياً للرأسمالية : يجب ان يحل محل النظام الذي يمنح المالكين امتيازات «عصر المنظمين» الذي سيلحق الرأسمال بحكم طبقة التقنيكيين . غير ان هذا المذهب يعرى التاريخ من كل معنى ، فيبدو هنا التاريخ تخبطاً احتج . وتتنازع النخب بلا طائل على الحكم الذي لا تستخدمه في اي غرض : ان البشر لا يرجون شيئاً ابداً .

ان اعداء الشيوعية ، حين يريدون ان يزيلوا عن السياسة سحرها وان يهدموا فكرة الثورة ، ينهبون افكار برنام عن طواعية : وآرون وموزن وکغيرها ينسخانه ويهران آراءه

١ - نرى هنا - كما يخدم مذهب اليمين الشكلي الذافي انانيته ، فلسيكي نوحد بين الحاجة والرغبة ، فلا بد من تفريغها من كل مضمون عياني : اي ان نصل الى حالة نفسية واحدة مبهمة مطلب الجائع وأحلام الشهوانى . وهذا الخلط المفترض لتكلبية تدعى الواقعية بتجريد مثالي هو خاصة مميزة لليمين .

بتوقعها طوال الصفحات . ويردد آرون بلا كمل ، ليحارب « الرومانسية الثورية » ، ان الثورة ترجع في النهاية الى تغيير في الجهاز الحاكم . والربيعية المهدية التي تملأ عليه مقالاته تتبع مباشرة من رؤيا برنهايم المكيافيلية . اما مونرو ، فيكتب<sup>(١)</sup> : « الثورة العالمية تعني اضطراباً عالمياً في دورات النخب » و « الثورات تخون وهذا ما لا يصدر عن النخب » . النخ .

بيد اننارأينا ان تشاءم اليمين لا بد بالضرورة ان يتواافق مع صوفية ما . و اذا كان برنهايم يقدم اسلحة جدالية ضد « اوهام » الاشتراكية ، فإن الميزان الايجابي المؤلفاته خاسر بشكل جلي . فباسم ماذا سينقذ تلك النخبة التي تصنع التاريخ ، بعد ان بين ان التاريخ عبث ؟ و اذا كان المختارون يتطلعون بشكل اعمى الى سلطة فارغة ، فكيف سيعملوننا نهم لقضيتهم ؟ في الحقيقة ، ان برنهايم منحاز الى عداء الشيوعية بوس عظيم حتى انه لا يشعر بال الحاجة الى تبريره . انه اميركي : فهو يريد ان تسسيطر اميركا على العالم ، هذا كل شيء . بيد انه يحدث له ان يطرح على نفسه بسذاجة متكلفة هذا السؤال : « أمرغوب في امبراطورية شيوعية عالمية؟»<sup>(٢)</sup> . وجوابه محرج بشكل ملحوظ فهو يؤكّد : « إن اقتصاداً شيوعياً عالمياً لن يزيد في الرفاهية المادية لغالبية الانسانية ». لكنه بعد صفحتين يسلم : « اكثر من نصف سكان

١ - بالطبع دون ان يذكر اسم برنهايم او بيراتو في « الحرب مطروحة على بساط البحث » .

٢ - سيطرة على العالم .

الارض هم في ادنى مستوى ممكن اليوم ، ووضعهم المادي لا يمكن ان يتفاوت اكثر من ذلك ، بل يمكن ان يتحسن ، . اكثرا من النصف ، الا يعني هذا الغالبية ؟ اللهم ان لم يكن المختار يساوي اثنين او عشرة من ساكني الارض العاديين ! .. ويُهجر بربما بعجلة ميدان الرياضيات غير المضمون . فهناك قيم اقتصادية اخرى غير الرفاهية المادية : الامن ، الحرية . وعلاوة على القيم الاقتصادية توجد في حضارتنا « مثل عليا » - التي يمكن اصلاً ان 'يحكم بأن إلغاءها مفضل' (كذا) - لكنها في النهاية مثل عليا لها « تأثيرها جزئياً على الأقل » . وهي : القيمة المطلقة للشخص الانساني ، والمثل الاعلى للحرية والكرامة الفردية ، وكذلك المثل الاعلى لحقيقة موضوعية . واخيراً يستنتاج بربما : « رغم ان القوة تقرر عادة بشكل عملي ما ترتئي القوانين انه عادل ، في تاريخنا وفي سائر التواریخ ، فإننا نتمرد دوماً ضد فكرة ان القوة يمكن ان تكون عادلة حقاً » . أما التمسك بفكرة عدالة غير موجودة عملياً، فليس هذا « مثلاً أعلى » يثير الحماسة بشدة ، ويبعدو ان من اللامنطقي ان 'يحكم على « اكثرا من نصف سكان الارض » بالبقاء في « أدنى مستوى » باسم « القيمة المطلقة للشخص الانساني » . أما « الحقيقة الموضوعية » فإننا لنتساءل عمّ يمكن ان تهم به مكيافيلياً متعرضاً . وفي الحقيقة ، ان تلامذة بربما لا يشعرون بخرج أقل منه حين يسألون لم يحاربون . ان آراؤن لا يشعر بالارتياح إلا حين يحيطهم اوهام خصومه الصبيانية . لكن ما إن يتوجب عليه

ان يجد اسباباً اخلاقية لتأييد اميركا والرأسمالية، حتى يفتقر الى البرهان المقنع. انه لا يحاول ان يعرف ولا ان يضع اساساً «للقيم المسيحية والانسانية القديمة». ولقد قال مرة: «ان الحقيقة تظل عندي القيمة العليا». لماذا؟ وما الحقيقة المقصودة؟ في الحقيقة ان التشاوؤم المكيافيلى قاسٍ على النخبة قسوته على الجماهير. ومن خلال هذا التفكير لا يمكننا إلا ان نتأمل في اللعب الباطل للأهواء الانسانية، بكلبية لا أمل لها. والأجدر بنا، من اجل اكتشاف صوفية، ان نتوجه الى مكان آخر.

يقدم نظاماً شبنغلر وتويني المزید من المصادر. فرؤيتهم للعالم أكثر مأساوية من رؤية المكيافيلىين. انها يقطعان الانسانية عن كل مستقبل ويعلنان لامعناتها، بربطهما التاريخ بالكون، وبمحكمها بالموت على تعدد الحضارات التي يرجع منشؤها الى صدف لانسانية. لكنها يستطيعان، لأنّه يوجد بالنسبة لها شيء آخر غير الانسان، ان يقترحوا على بعض البشر سلاماً فوق ما هو انساني. انها يتغذيان، داخل كل دورة تاريخية، بأشكال تتعالى بالتاريخ وجودها مرتبطة لحسن الحظ بصالح أصحاب الامتيازات.

يكتب شبنغلر في خاتمة كتابه: «المقصود، في التاريخ، هو الحياة، الحياة دوماً ولا شيء آخر، والعرق، وانتصار إرادة القوة، لا انتصار الحقائق، او الاختراعات، او المال». ولا يبدو له دور التقنية والاقتصاد ثانويًا فحسب، بل ان الانسان باعتباره متوجًا و «نتاجاً لنتاجه» ملقى به خارج

التاريخ . ان موضوع التاريخ ، وواقعه لا دخل لها مع « وجود الحيوان الانساني » .

ويكتب : « اني ارى في التاريخ الحي صورة تكون وتحول دائمة ، صورة مستقبل وموت عجائبي للأشكال العضوية » . وهذه الاشكال هي الثقافات . انها تمثل جميعها فيما بينها تجانسات جزئية قائمة على ( سر التقلبات الكونية الذي لا يمكن سبر غوره ) . لكنها تتطور بشكل منفصل ، بطريقة غير متصلة . انها تنمو ، الواحدة تلو الآخر ، حتى اللحظة التي تتحقق فيها قدرها ، اي الحضارة ، لتأفل الواحدة تلو الاخرى . « تلد الثقافة في لحظة استيقاظ روح كبيرة . وتتوت الثقافة حين تتحقق الروح المجموع الكلي لإمكاناتها تحت شكل الشعوب ، واللغات ، والمذاهب الدينية ، والفنون ، والدول ، والعلوم ، وتعود الى حالتها الروحية الابتدائية » . ويلخص شبنغلر ، في خاتمه ، مأساة هذه الولادات وهذه الميتات على النحو التالي : « ان مأساة ثقافة رفيعة ، مأساة كل هذا العالم المدهش من الإلهيات ، والفنون ، والافكار ، والمحروب ، والمدن ، تنتهي بالحقائق العنصرية للدم الابدي الذي يكون مع الموجة الكونية المتدفقة ابداً شيئاً واحداً وحيداً . ان الكائن المستيقظ المستير ، المتمتع ببرونة غنية ، يقع من جديد في الصمت في خدمة الكائن ، كما تعلمنا ذلك امبراطوريات الصين . ان الزمان ينتصر على المكان وسيره المتصلب هو الذي يحبس على هذا الكوكب الصدفة العابرة المدعولة الثقافة في الصدفة المدعولة الانسان ، وهو

الشكل الذي تنساب فيه الصدفـة المدعـوة الحـيـاة بـيـنـا تـنـفـتـحـ اـمامـنـا ، فيـ العـالـمـ الـمـضـيـءـ بـأـعـيـنـنـا ، الـآـفـاقـ السـائـلـةـ لـلـتـارـيـخـ الـأـرـضـيـ وـالـتـارـيـخـ الـكـوـكـبـيـ » .

إنـ ماـ يـسـتـبـينـ بـوـضـوحـ منـ هـذـاـ الـاسـتـحـضـارـ الـكـوـكـبـيـ ، هوـ الـأـهـمـيـةـ الـمـعـلـقـةـ عـلـىـ «ـ حـقـائـقـ الـدـمـ الـعـنـصـرـيـةـ »ـ ، منـ خـلـالـ لـعـبـةـ الصـدـفـ الـتـيـ لاـ يـكـنـ فـهـمـهاـ .ـ انـ الـحـيـاةـ ،ـ كـمـ رـأـيـنـاـ ،ـ تـجـسـدـ فيـ الـنبـالـةـ الـتـيـ هيـ «ـ التـارـيـخـ وـقـدـ اـصـبـحـ جـسـداـ »ـ .ـ وـهـزـيـةـ الـنـبـالـةـ ،ـ وـصـعـودـ الـجـاهـيـرـ ،ـ يـؤـديـانـ إـلـىـ نـهـيـةـ التـارـيـخـ :ـ فـتـغـرـقـ الـأـنـسـانـيـةـ فيـ الصـمـتـ ،ـ فـيـ الـلـاشـعـورـ ،ـ فـيـ الـعـدـمـ .ـ

ويـوجـدـ بـيـنـ شـبـنـغـلـ وـتـوـيـنـيـ بـعـضـ الـفـروـقـ :ـ فـالـأـولـ يـعـدـ ثـانـيـ حـضـارـاتـ تـدـوـمـ كـلـ مـنـهـاـ الـفـعـامـ وـنـهـيـاتـهاـ مـحـتـوـمـةـ ؟ـ اـمـاـ بـالـنـسـبـةـ للـثـانـيـ فـهـنـاكـ تـسـعـ وـعـشـرـونـ تـقـفاـوتـ مـدـدـهـاـ وـيـتـرـكـ تـطـوـرـهـاـ مـكـانـاـ لـلـحـرـيـةـ الـأـنـسـانـيـةـ وـلـلـإـرـادـةـ الـأـهـيـةـ .ـ وـيـقـبـلـ تـوـيـنـيـ بـوـجـودـ بـعـضـ التـأـثـيرـ لـبـعـضـهـاـ عـلـىـ الـبـعـضـ الـآـخـرـ وـيـذـكـرـ بـشـكـلـ مـبـهـمـ فـكـرـةـ التـقـدـمـ :ـ لـكـنـهـ تـقـدـمـ روـحـيـ لـاـ يـكـنـ لـغـيـرـ اللـهـ اـنـ يـقـدـرـهـ ،ـ وـلـيـسـ المـقـصـودـ بـهـ فـتـحـاـ اـنـسـانـيـاـ .ـ وـيـتـقـنـ النـظـامـانـ عـلـىـ مـاـ هـوـ اـسـاسـيـ .ـ فـتـعـاقـبـ الـحـضـارـاتـ غـيـرـ مـتـصـلـ بـالـنـسـبـةـ لـتـوـيـنـيـ اـيـضاـ ،ـ وـلـيـسـ لـلـعـوـافـلـ الـاـقـتـصـاديـ الـاـهـمـيـةـ ثـانـيـةـ .ـ فـالـتـارـيـخـ مـنـوـطـ بـعـامـلـ كـوـكـبـيـ :ـ الـوـتـيـرـةـ الـمـتـنـاوـبـةـ لـلـسـكـونـ وـالـحـرـكـيـةـ (ـ بـالـلـفـةـ الـصـينـيـةـ :ـ الـيـانـ وـالـيـانـعـ )ـ .ـ فـالـيـانـعـ يـتـمـ كـرـدـ عـلـىـ تـحدـ مـنـ الـبـيـئـةـ ،ـ وـالـعـرـقـ ،ـ الـنـغـ .ـ لـكـنـ الـحـضـارـةـ تـتـحـطـمـ بـعـدـ فـتـرـةـ مـنـ الصـعـودـ .ـ فـتـنـفـصـلـ عـنـهـ آـنـذـ «ـ بـرـوـلـيـتـارـيـاـ دـاخـلـيـةـ »ـ وـ «ـ بـرـوـلـيـتـارـيـاـ خـارـجـيـةـ »ـ .ـ وـهـذـاـ

هو زمن القلائل الذي ترد عليه الحضارة بخلق دولة عالمية ، لكن هذه الدولة ، بانحصارها بين هذين النوعين من البروليتاريا ، تموت . و اذا ما أتيح لحضارة ان تبقى على قيد الحياة ، فانها ستقوى حتى ذروة الفائق الانسانية . لكن مستقبل الغرب ، ما لم ينجزنا الله تأجيلاً ، يبدو محتوماً : فقد دخلنا في مرحلة القلائل . ويستنتج تويني : « ان روح الارض ، اثناء نسجها لسلسلة الزمن ، تكون تاريخ الانسان كايتجلى في تكوين المجتمعات الانسانية ، ونوهما ، وافوها ، وانحلاهما . ونحن نستطيع ، في بلبلة الحياة وعاصفة الاعمال الموجاء هذه ، ان نسمع خفقان وتيرة عنصرية . وهذه الوتيرة هي الحركة المتناوبة للبيان والبيان . والحركة الناشئة عن هذه الوتيرة ليست انتيالاً لخفقان غير محدد ، ولا دورة لطاحونة انصباط . ان الدوام الأبدي لدولاب ما ليس تكراراً لا مجدياً اذا كان عند كل انقلاب يقرب العربية من هدفها . والموسيقى التي تبليها وتيرة البيان والبيان هي نشيد الخلق<sup>(١)</sup> . »

ان رمز الدولاب الذي اقترحه تويني يلقى اليوم ترحيباً حاراً . ومن بين الذين تبنوه آبيليو الذي نظر بعض المثقفين اليمينيين الى تنبؤاته نظرة جد . فهو يرى ان التاريخ يتمثل

١ - يتعلق تويني ، في الجلadas الاخيرة التي اصدرها ، بالتفاؤل . فهو يعتقد ان التمايش يمكن بين الاتحاد السوفيaticy والولايات المتحدة . لكنه لما كان يضع كل أمله في « دين فوري » يوفق بين البوذية والمسيحية ، فيسكننا ان نعتبر فلسنته عن التاريخ مأساوية كفلسفة شبنغler التي يزعم انه يعارضها .

تحت شكل دورات : عوائق - تطور ، تفصل بينها طوفانات .  
والمجموع يتسجل في دورة وحيدة تنتهي برويا يوحنا . وكلية  
الدورات تشكل خطأ حلزونياً : فهناك ، كما لدى تويني ،  
مستقبل للإنسانية غامض . لكن ليست لنا على هذا التطور  
الكوني أي سيطرة عملية . ان انسان اليوم محبوس في طوفانه  
المتفرد والعمل محروم عليه : لأنه سيكون بالضرورة بادرة لا مجديّة  
او خيانة . والملاذ الوحيد هو انت نبني « فلكاً » للانتقال من  
عالم الى آخر . وهذا الفلك يجب ان يجمع في نوع من النظام  
الروحي « النفوس المحبة للنور اكثر من حبها القوة » و « مجتمع  
النفوس هذا يقف في لامبالاة متعادلة تجاه الانظمة السياسية  
ويديمها جميعها في وعي مستثير لنسبتها » .

ومن المذهل اليوم ان يكون أي مؤلف من النمط التعندي  
- الدوري - المأساوي ، مضموناً له ان يؤثر على جمهور معين .  
وقد حاولوا ان يهلووا للأحلام غامضة لشخص مثل « غينون »  
يستشف من خلال رموز مبهمة نهاية الغرب القرية . وهم  
يعيدون اكتشاف الفلسفة الهندوسية ، باعتبارها كونية ، مناقضة  
لتاريخ ، وباعتبار انها تنادي باللا-عمل : ان دولاب « سيفا »  
يسقط ظله الكبير على حياة الحضارات وموتها . ويزهو المحافظ ،  
بعد ان عرف الطبيعة الانسانية بأنها ساكنة ، بالإيمان بأن  
التاريخ يدور مراوحاً في مكانه : لا شيء يتغير ابداً . وهو لا  
يقبل كل القبول بالفكرة النيتشوية عن العودة الابدية : لكنه  
يرضى بأنه يوجد بين الثقافات تجانسات عميقه جداً حتى ان كل

محاولة لإصلاح العالم محكوم عليها بالفشل سلفاً . وحتى لو شكا من وجة نظر اخلاقية من ان بنية المجتمع هي على ما هي عليه ، فإن التطatum نحو عالم افضل يصدر عن طوباوية على كل حال : ان الواقعى الذى ينحني امام الضرورة المورفولوجية التي تحكم على المجتمعات القادمة بتكرار مظالم هذا المجتمع واستغلالاته . وسواء أرسם التاريخ دائرة او خطأ حلزونياً ، فإن كل تطور يتضمن الخطاطاً ، وكل مستقبل جامد في قلب الكون . ان الانسانية تتخطب بلا جدوى ، ضائعة في جسامته تغمراها . ويبعد ارتباط الانسان بالمجتمع ثانياً : انا الأساسي هو علاقته بالعالم ، الذي لا يستطيع عليه شيئاً .

بيد ان هذه الدورات المختمة تمر بأحيان متفاوتة في القتامة . وقد دخل الغرب منذ زمن طويل في أ Fowler : لكن شبنغلر كان لا يزال يعتقد ان القيصرية تستطيع ان تؤخر موته ، وكانت ينادي بالالتزام الفاشي بالألفاظ تكاد تكون مكشوفة . ويفكر الآن اليمين ، بعد ان تبين كذب آماله كافة ، بالكارثة الوشيكة الواقع ، بالعمل العاجز . فألمانيا المقهرة تحاوون ، من خلال ياسبرز ، ان تتکفل بهذا التشاوم . ويضفي عليه ياسبرز وجهما أكثر تحديداً ايضاً ، لكنه اقل دراما تيكية مما فعل شبنغلر . انه يقترح على الانسان ، بدل اليأس الكلبي ، او العدائى ، او الخانع ، الذي اقتربه كل من برنهايم ، وشبنغلر ، وتوبينبي ، حكمة متعالية . اجل ، ان التاريخ فشل : لكن من الخير ان يكون كذلك .

ان الواقع المادي مكون ، برأي ياسبرز ، من تعدد في الاشكال الجوهرية : الأعراق ، الحضارات ، الشعوب . وهذا المذهب التعددي هو الذي يحكم على التاريخ بالفشل . ويؤدي تنوع هذه الاشكال ، رغم امكانية معينة في الاتصال فيما بينها ، الى معارك وتدمير بالضرورة . لكننا سترتكب خطيئة ضد المتعالي من جهة اخرى اذا زعمنا اننا نوحد الانسانية . والقضاء على الحدود التي تفصل بين الطبقات والشعوب ، هو «مشروع للتسوية لا يمكن تخيله دون ذعر ». ولقد رأينا بالفعل ان الانسان لا ينفتح للمتعالي ولا يحقق نفسه كوجود الا بانهائه الى طائفة تملّك وحدة روحية تلقائية : وبالتالي محددة ومتميزة . ان الجاهير منغلقة دون المتعالي . انها لا تستطيع ان تقترن على نفسها الا غايات ارضية ، كسعادة الانسانية . لكن «ال النهائي» باعتباره سعادة تلقائية ، محِيط حين يصبح الهدف النهائي : فيفقد الإنسان تعاليه ». ان الانسانية لن تجد السعادة الا على حساب كرامة الوجود . يحب اذن ، باسم مصالح الكائن العليا ، ان يتأند فشل التاريخ وشقاء البشر . ومن البديهي ان هذا الفشل ، على الصعيد التجربى ، مقلق والتاريخ لا يملك معنى واضحاً : «إن تياراً ما يقود الانسانية مع ثقافتها القديمة نحو ما لا نعرف من تدمير او تجدد ». لكن يحب علينا من وجهة نظر علينا ان نهنى انفسنا على ذلك لأن هذا الفشل الارضي هو «مفتاح المتعالي» الاخير . ان التاريخ ، بقدر ما لا يؤدي الى أي جهة ، هو «الكشف التدريجي عن الكائن» و «ما هو تاريخي» ،

هو ما يفشل ، لكنه حضور الأبدى في الزمن » . وهي اجنب المتعالى على تطلباته ، فيجب على ان آخذ تاريخي على عاتقى ، اي ان اطالب بمحظوي وان أعتبر التاريخ افق حاضري ، والطريقة التي ينحني بها الابدى ذاته . لكن يجب ألا افامر على العمل ، فهو ليس الا ظاهر يقين الكينونة ، المهدد بالدمار بلا انقطاع .

مكذا ، فإن فساد الطبيعة الانسانية ، والقدر الكوني ، وتطلبات المتعالى ، تتفق في إدانة العمل . ولا يبقى امامنا الا ان نتصور المصير بوعي ، وان نصلى الى الله مع توينبي ، وان نلوذ مع ابليو الى « فلك » او ننفتح للمتعالى على مثال ياسبرز . لكن اليأس ، في بجمل القول ، هو بالنسبة لجميع الذين لهم مصلحة في الإبقاء على الوضاع الراهن ، دليل متاز على الغياب بائنات الوجود في مكان آخر : فالصوفية المأساوية تخدم النظام القائم . وهذه التنبؤات القاتمة تقدم على الاقل لطبقة تعرف انها مدانة عزاء كثيئاً : سوف تكون تصفيتها كارثة روحية .

# رسالة النخبة

اذا كانت اخلاق هدوء النفس المطلق تخدم اثانية البورجوazi الفردية ، فإن اثانيته الطبقية تظل تهجمية : انه يريد على الاقل ، وهو يدين التاريخ ، ان يرفع من قيمة اللحظة التاريجية التي تمنحه الامتياز . ان النخبة ، بعد ان حكمت على الانسان بالعدم ، تندى نفسها بتاليها . وخطوتها هذه مماثلة . انها تقول ان هناك اشكالاً ، مثلاً ، قيماً تتعالى بالتاريخ وتتطلب الدفاع عنها .

يكتب سطيفان سبندر ان المعركة التي تنشب اليوم عبر الارض تعارض « الذين يريدون الحفاظة على القيم الابدية بالذين يرون ان كل وسيلة صالحة لتحقيق النصر لمبادئهم السياسية » ، حتى ولو كانت مبادئ محترمة في حد ذاتها . » ويصرح مرسي ايلياد : « ان التبرير الوحيد للجماعيات المنظمة – المجتمع ، الأمة ، الدولة – هو بعد كل شيء – خلق القيم الروحية والمحافظة عليها . ان التاريخ الكوني نفسه لا يخفي بعين الاعتبار الا الشعوب المبدعة للثقافات » . ولقد رأينا ان اعظم

مفكرينا مكيافيية ، واكثراهم ربيبة ، امثال بربنام وآرون يكتشفون في انفسهم ، للتغنى بالقيم والحقائق الابدية ، روحًا افلاطونية .

هناك موضوعة مشتركة بين جميع الانظمة التي درسناها ، تساعد البورجوازي مساعدة كبيرة على المطالبة بالدفاع عن مصالحه باعتباره واجبًا : مذهب التعدد . فمذهب التعدد هو اساس التشاوُم التاريخي : لكنه هو الذي يسمح ايضاً بتشييد عقيدة معركة على هذا التشاوُم . لقد قرر اليمين المفكر بأسره ان يعتبره حقيقة مكتسبة نهائياً . وهكذا يكتب مونرو في « علم اجتماع الشيوعية » ، ص ٢٥٨ : « لكن يوجد بالنسبة لنا عبوديات ، واقطاعيات ، ورأسماليات ، لكل منها تاريخها ، وقد تغيرت كلها تغيراً عميقاً خلال هذا التاريخ ، وتتوصل كل منها خلال كل تاريخ ان تختلف عن نفسها بقدر ما تختلف عن الآخريات او تقريباً ». وهم يضمون بدل مخطط ماركس « التبسيطي » الذي يعارض بين المستغلين والمستغلَين ، رسمياً معقداً جداً حتى ان المسطَّهدين يختلفون فيما بينهم قدر ما يختلفون عن المسطَّهدين ، فيفقد التمييز الاخير هذا اهميته . لكن مذهب التعدد يسمح على الأخص للحضارة بمحفر تلك « الخنادق » التي يحمل بها السيد جول رومان بخني . فقد فهم هذا الاخير ان من الصعب الدفاع عن اوروبا الرأسمالية باسم الكوني . ولا بد من سذاجة كبيرة كسذاجة روجون لكتابته ان الهدف بالنسبة لنا ، نحن الاوروبيين ، هو « ان نرى انفسنا مسؤولين عن ثقافة

خاصة جداً . وهذه الثقافة هي محكمة<sup>(١)</sup> حضارة أصبحت حفناً كونية سواءً في النساء أم في الضراء » . ويصرح سبندر بمنطق أوضح بكثير : « لا توجد حقائق أبدية . ان المقياس الوحيد لمذهب ما هو ضرورته للحياة ». وبالفعل ، ان الفكر التعددي لا يستطيع ان يلحق بنفسه الابدي دون تناقض . لكن مذهب التعددي يقدم لنا الوسيلة لتجنب الصعوبة التي يسببها : فيحل محل المثل الاعلى الكوني اعتراف بتنوع الحقائق . وعلينا ان نلتزم الحقيقة التي تفرضها علينا ضرورة حيوية . ان الحضارة البورجوازية الغربية هي الوحيدة التي نرتبط بها ارتباطاً جوهرياً . وعلاوة على ان حضارة الغد لن تتحقق اي تقدم عليها ، فإننا مفصولون عن هذا المستقبل البعيد بهوة جذرية . فهو ليس بالنسبة لنا ، ما دام ليس لنا أي سيطرة عليه ، الا مفهوماً فارغاً . ان قضيتنا الوحيدة هي هذا « الشكل » الذي ننتمي اليه : والافول الذي يتهدده لا يتضمن وعداً بشكل جديد : انه يعلن فقط ظفر المسلح . وما وراء ذلك كله ليل وصمت . فلنهم اذن بأوروبا ، بالغرب : لا شيء آخر يعنيانا . ويؤكّد ياسبرز هنا ايضاً الموضوعة الشينفلورية . فهو يرى ان هناك تعددآ في الحقائق التي تتصل بعلاقتها بالكائن لكنها تتطلب ان تعيش في انفصالها . « ان حقيقي » حقيقي باعتباري حرية ، تصطدم ، بقدار ما أوجد ، بحقيقة أخرى باعتبارها موجودة . وانما بها ومعها

١ - كذا ، « الأدلة » ، كانون الثاني ١٩٥٤ .

أصبح نفسي . إنها ليست وحيدة واحدة ، لكنها وحيدة لا يمكن استبدالها بقدر ما هي على علاقة بالغير ». ان يكون المرء ذاته ، فهذا أسمى قانون أخلاقي : انه انفتاح على المتعالي . وانا لا أتوصل الى هذه الاصالة إلا بأخذني نهايتي على عاتقى بدلاً من ان ازعم اني اتجاوزها . اذن ، ان واجبي كبورجوازي غربي هو ان أريد بدون شروط الحضارة البورجوازية الغربية . بالطبع ، ان سلام الحضارة سيتحقق ضد الجماهير . لأن هذه الجماهير لا تتدخل في مجرى العالم الا كعنابر الخلل . إنها تحل الانظمة ، وتسبب الشقاوة ، وتتكرر المتعالي ، وتفرغ الواقع الانساني من جوهره . ان كل شيء يخسر ولا يخلق ، عن طريقها . انا على النخبة ان تنقد « العالم الرائع » للثقافات . ان الانسان الغربي يشعر اليوم بأنه مكلف برسالة . لكنهم سيبينون ان من لا يملك امتيازا لا يستحق اسم انسان : وعلاوة على ان الجماهير محكوم عليها بعدم صحة ادعاهاتها باعتبارها عميلاً تاريخياً ، فهي مستبعدة عن عالم الفكر ، عن عالم القيم الاخلاقية والجمالية : وسوف نرى ما الحيل التي يتوصلون بها لذلك .

# الفِكَر

«الحس السليم هو أكثر شيء يشتر� فيه الناس». إن اليمين لا يستطيع أن يؤيد مثل هذا التأكيد الديمقراطي الصفيق. إن ما يشترک فيه بمجموع «الحيوانات الإنسانية» هو حيوانيتهم فقط. إن الفكر، البعيد عن أن يقيم أساساً مشتركاً يستطيع جميع البشر من خلاله أن يتعارفوا، هو في نظر البورجوازية موهبة متميزة مميزة.

لقد رأينا ان النظريين البورجوازيين يقولون بذاتية نفسية – فيزيولوجية : ان الأفكار لا تمكس الموضوع المفكّر به بل عقلية الذات المفكّرة . وهذه العقلية هي عقدة غامضة بما فيه الكفاية تتملق جزئياً بعوامل خارجية لكنها تعبّر قبل كل شيء عن ماهية ما : فهناك نفس سوداء ، وطبيعة يهودية ، وحكمة صفراء ، وحساسية نسوية ، وحس فلاحي سليم ، للخ. وطبيعة ماهية الكائن تحدد منطقته التي يمكن للجميع ان يبلغوها . اذ ان هذه الفلسفة الذاتية ذات نزعة معادية للثقافة : انها ليست

فلسفة للوعي بل للكينونة . ان المعرفة<sup>(١)</sup> ، حسب تعبير كلوديل ، اتصال . انه لا تصدر عن الفهم ولا عن العقل . ان الانسان اليمني يحتقر المعرفة المنظمة التي يمكن ان تنتشر منهجاً وان تنهل من الكتب باعتبارها «ابتدائية» . وهو لا يعلق اهمية الاعلى « التجربة المعاشرة » التي توحد بشكل فريد بين ذات وبين موضوع مشتركين في جوهر<sup>(٢)</sup> واحد . اذن يوجد بين الافراد الواقعين تسلسل في الرتب . ومن يملك اكبر قدر من « النبل الحيوي » ، اكبر قدر من « الفنى الجوهري » يحقق مع الكينونة اكمل اتصال . اما الجماهير ، المحرومة من الجوهر ، فتحكم عليها بسبات حيواني ، مقطوع عن الاهلوسات والهديان . ان الافراد الراسخة جذورهم في شكل جوهري – اي الذين يقبلون بالنظام البورجوازي – لديهم شيء ما جدير بان يكشف عنه : انهم يتقطعون ، بفضل مكانتهم ، وفي حدودهم ، الحقائق التي تقللت من النظري العقلي . ان المرأة التي

١ - المعرفة بالفرنسية *Connaissance* وهي مركبة من *Naissance* اي ولادة ، ومن *Co* اي مبادلة . وكلوديل لا يقول بأن يكشف عنـه : انهم يتقطعون ، بفضل مكانتهم ، وفي حدودهم ، الحقائق التي تقللت من النظري العقلي . ان المرأة التي تعبير كلوديل .

٢ - من هنا كان حب ناس اليمن للقليل والقال . انهم يفضلون النكتة التي يهمس بها من فم لفم ، على الحقائق القررة منهجاً ، على القوانين الثابتة علمياً : فالتجربة الممتدة بالامتياز لواحد منهم مسجلة في هذه النكتة ، ويمكن تناقلها بطريقة ذات امتياز . انهم لا يريدون ضامناً لصحتها غير صفة المختارين الذين يذيعونها . ونحن نجد يومياً تقريراً في « الفينارو » امثلة عن هذا النهج .

تنزف وتضع ، لها عن اشياء الحیاة « غریزة » اعمق من  
البيولوجي . وللفلاح عن الارض حدس أصح من مهندس زراعي  
يحمل شهادة . والمعمر يستمع بسخرية الى نظریات عالم خصائص  
الشعوب : فهو لا يتعلم ان يفهم الذهنی حق الفهم الا بضربه .  
ويشرح شيئاً فشيئاً ان هذا الشكل العیانی ، العرق ، لا  
يفهمه العالم الذي يحمل ويزن ، لكنه يتکشف بالمقابل لإنسان  
العرق .

كتب يقول : « إن الأعراق الانسانية الصافية  
تختلف فيما بينها بالطريقة الروحية نفسها التي تختلف بها  
الأعراق غير الصافية . إن عنصراً ما واحداً ، لا يتکشف  
إلا لأكثر الأذواق نعومة ، وهو رائحة عذبة مائلة في  
كل شكل ، يوحد فيما تحت جميع الثقافات الرفيعة في  
القوقاز الاتروسکيين مع عصر النهضة ، والسموريين  
على الدجالة في العام ٣٠٠٠ مع فرس عام ٥٠٠ ،  
وسائر الفرس مع العصر الاسلامي ... وهذا كله  
مستعصٍ على العالم الذي يقيس ويزن . انه موجود  
بالنسبة للشعور الذي يستشفه من النظرة الاولى بيقين غير  
خادع ، لكن ليس بالنسبة للتحليل العلمي . اني  
أستنتج من ذلك اذن ان العرق ، مثله مثل  
الزمن والقدر ، هو شيء ما حاسم بالنسبة لمجموع المسائل  
الحيوية ، شيء ما يتمتع كل فرد عنه بمعرفة واضحة  
ومتباعدة ما إن يکف عن انت يريد فهمه بالعقل ، وبالتالي

بالتحليل والتصنيف اللذين يفككانه ... لهذا فإن الوسيلة الوحيدة لتعزيز الناحية الطوطمية من الحياة ليست هي التصنيف بل حس الفراسة » .

سوف نتعرّف من خلال التراكيب اللغوية الشينغلرية فكرة من الأفكار المشتركة العزيزة على رجال اليمين .

كان موراس يعلم ان اليهودي لن يستطيع ابداً ان «يفهم» بيت شعر لراسين<sup>(١)</sup> . ويفضح دريو لاروشيل ، في روايته «السنجد» ، الجانب «الحديث» في اليهود الذين يعجز فكرهم العقلي عن فهم ما هو غريزي ومعقد في العالم . ان المخلوع من عرقه او طبقته لا يستطيع ابداً ان يفهم الطبقة او العرق الذي هو دخيل عليه . وفي رواية موريس باريس «المخلوعون» ، يعيش راكادو حكماً عليه بالضلالة ، رغم ذكائه ، بمحض انه مخلوع في حين ان سان - فلان الضعيف الراسخ جذوره في ارض اسلافه يتمحرك بسهولة في الحقيقة .

ويقتبس الاهل البورجوازيون عن طوعية بأن ابنهم ، ولو كان أسوأ ابناء طبقته ، يملأ «لست ادرى أي شيء» يفتقر اليه اعظم مصارب في البورصة المعيبة .

وهذا النظام يرفع من شأن «العقائديين الفعاليين والتصوريين» الذين بنوه . انه يسمع لهم بترميم منهج السلطة لفائدهم . ان

---

١ - ان «الفكر المتوسطي البحري» يصبح شينغلرياً وبالتالي ألمانياً في اللحظة التي يطالب فيها بفرده . انه يناقش الماهية التي يزعم أنها له في الوقت نفسه : وهي مذهب عقلي مستثير وذو قيمة كونية .

الفرد المتفوق – بالدم ، بالنبل ، او بانفتاحه على المتعالي – قادر على ان يشعر في شبه كليته بجموع الاشكال التي تشكل الواقع : هو وحده . ويتبطل الفكر اليميني بفضل هذه البديهية بسهولة على تناقضات موقفه الظاهرية : فعادي الشيوعية لا يرى في الافكار ، حين يهاجم الماركسيين ، إلا عقلنة سطحية للغرائز اللاشعورية ، والقوى الغاشمة . اما حين يكون هو المقصود ، فإنه يعلن ان لها اساساً موضوعياً . انه يعتبر حقيقته مطلقاً ، مع انه تعددي النزعة حين يفكر بالحقائق الاجنبية . لكن هذا التخلف عن المعاملة بالمثل مبرر برأيه كل التبرير : ان تفرد بعض البشر – المختارين الذين هو منهم – اثنا هو بلوغ الكونية على وجه التحديد . انه ينتصب ، بحسبه خصوصه في وجود ذاتي فارغ ، وبحسبه من هم ادنى منه في خصوصية محدودة ، اقول انه ينتصب فوقهم كسيد يجب ان تقبل كشوفه بفعل ايات . وهذا موقف ضعيف ومنيع للغاية في آن واحد . ان ابراهام الحقيقي ليس واثقاً قط من انه ابراهام ، لكن ما من احد يستطيع ان يثبت ، لمن يعتقد في المصحات العقلية بأنه نابليون ، انه ليس نابليون . ان هذا الالتباس يفسر اللهجة القاطعة التي يتبنوها عن طواعية كتاب اليمين .. انهم لا يخضعون أفكارهم لحكم الغير : انهم يعيرون عن حقائق ، قيمتهم الشخصية هي الصيانة الوحيدة والكافية لها . والاثبات سيكون تدريباً : ان «المعلم» يضع نفسه وراء حدود كل نقض ممكن ، ويطلب

بانضوء غير مشروط<sup>(١)</sup> . وبأي حقيقة يعارض ، اذا كانت الحقيقة العليا هي على وجه التحديد الحقيقة التي تكشف له ؟

إن هذه النظرية في المعرفة تقتضي بالضرورة ان يكون الواقع بالذات غير عقلي . ونجد هنا احد تناقضات الفكر البورجوازي : إن « الأعضاء الفعالين » للبورجوازية يؤمنون بالعلم ، ويصنمونه ، ويطبقونه ، غير ان واعدي عقidiتها يبذلون جهدهم في إفقاده مكانته . انتا نعرف أي تفسير غريب قدموه مثلاً لمبدأ اللاحتمية ، زاعين ان المادة نفسها فوضى وغير لازمة الوجود . ان الایات بالضرورات الطبيعية هو بالفعل الشرط الاول لتحرر انساني : وبالعكس ، ان الانسان يكون مسحوقاً ، سلبياً ، عبداً في عالم سديمي ، يستعصي على الفكر ان يسيطر عليه . وينفجر بؤسه : انه حتماً ليس إلا حيواناً محترقاً . ويشعر بنفسه ضائعاً ، ويكون مستعداً ليصفي بوداعة الى صوت « المختار » الذي يأخذ على نفسه ان يرشده . لذا فإن المفكر اليميني يؤكد ان الطبيعة نزوة وسر ، والعلم الذي يحلل ويصنف لا يفهم منها إلا ظواهر سطحية ، وهي حية بمحياه سرية ،

---

١ - يدفع غوردييف ، الذي كان يلعب دور العراف ، بهذا الموقف الى الحد الاقصى ويقلبه الى موقف يدعو الى السخرية حين كان يرفض بحقن عندما كان يلقي على تلاميذه المراهقين عبارات سحرية غامضة ، ان يفسرها . لكننا نجد عند الناس الاكثر جدية – من موشنلان الى آرون – الف مثال على هذه اللعنة المحترقة . ان ما يسمى « وقاحة » كتاب اليمين الشباب هو حد اشكال هذا التمعجرف المريخ .

تتخللها سوائل لامرئية . وواقعها العميق ليس هو هذا العالم التجربى كاسلم نفسه لنا : إنما هو كائن مختلف ، جوهر كوني ، او روح متعال . ان الواقع الخارجى ، برأى شبنغلر ليس إلا « تعبيراً ورمزاً . ومورفولوجيا التاريخ الكونى تصبح بالضرورة مجموعة رموز كونية . »

ويأخذ يابرز عن شبنغلر ، وهو الذي يفسر آراءه تفسيراً روحاً حسب حاجات المانيا بعد الفاشية ، فكرة الحس الفراسي ويستخدمه لشرح التعالى في هيئة الاشياء . ويقول انه يجب ، بدلاً عن تحليل الواقع كما يفعل العالم ، ان نفهمه من خلال « شيرفات » تكشف لنا عن كليات . ان الطبيعة شيرفة ، ملتبسة بشكل لا متناهٍ . والتاريخ كذلك ، باعتباره فشلاً . والشعور بشكل عام شيرفة ، والشيرفة النهائية هي الوجود نفسه .

ان هذه النزعة الفلسفية التعليمية السرية تؤكّد أهمية « المعلم ». ان كشف الاسرار موقوف على بعض المترسّين المتمعّين بنعمة فطرية معينة . وليس من المدهش بعد ذلك ان يتّجه بعض المفكّرين نحو علوم التنجيم ، والكمياء ، والعرفة . ولقد كان هتلر يؤمن بالتنجيم : اذا كان من الممكن بفضل « الحس الفراسي » ان يعرف الانسان كله من خلال شكل جسمته ، فلماذا لا يكون ذلك ممكناً من خلال خطوط يده ، او هيئة السماء ؟ ان الموجة الكونية تتخلل وتربط كل شيء : تتمكن معرفة أي شيء كان من خلال أي شيء كان . واذا كان الانسان

مسلمًا لا إلى البشر الآخرين ، بل إلى روح الأرض ، فإن قدره يلعب في النجوم أو في ثقل القهوة أكثر مما يلعب في الساحات العامة . إن التصوف يقود إلى العراقة . هكذا يتفسر النجاح الذي استقبل به اليمين المكتب الرمزية التي استلمت الشرق بقدر متفاوت ، يتفسر الاستقبال الحار لكتب غينون ، ودولال ، وشميدت ، وأبيليو ، والحظوظة التي لاقاها شخص مثل غورديف .

إن التصوف يقود إلى الصمت أيضاً . إن عداء اليمين للثقافة يتجلّى في علاقته باللغة . فالوثوق بالكلام مشترك بين الجميع ، وهذا موقف ديمقراطي بشكل دني . إن الحقيقة ، المختفية وراء الرموز والشيفرات ، مرتبطة بما لا يمكن التعبير عنه . كان نيتشه يعتبر اللغة خيانة : « ما أجمله من جنون ، الكلام ! » ويكتب شنبلر : « اللغة والحقيقة ينتهي بها الأمر إلى نفي أحدهما الآخر ... كلما كان الاتصال عميقاً ، أمكنه التخلّي لهذا السبب عن الإشارة ... إن أنقى رمز في التفاهم قدمته اللغة حتى اليوم زوجان فلاحان مسنان جالسان مساء أمام المزرعة يتحادثان في صمت » . ويختم بريس باران دراسته عن اللغة مؤكداً : « كلما كنا أقرب إلى الصمت ، كنا أقرب إلى الحرية » .ويرى ياسبرز أن الشيفرات تصب على ما لا يمكن التعبير عنه . إن لغة التعالي الثلاثية ترن إلى ما لا نهاية في الصمت : والفشل هو هذا الصمت . والشيفرة النهاية هي صمت . وهذا السلم الأبكم هو الكشف الأعلى .

« إن اللاكتينونة التي يكشفها لنا فشل كل ما نستطيع فهمه هي كينونة التعالي ». وبالفعل ، إن الكلمة ، التي وفقت مع حياة المجتمع ، مع الوجود التجرببي ، لا تستطيع ان تعبّر عن حقيقة الانسان التي هي علاقته بالكون ، بالتعالي . ان المحادثة الملفوظة لا تناسب الا الجماهير . والبشر الاصيلون يتبادلون الاتصال من خلال الجوهر الذي تأصلت فيه جذورهم معاً : إن سائلاً واحداً غامضاً يخترقهم ، ان شكلاً واحداً يبهرهم . ويبرع الادب اليماني في وصف هذه التفاهمات التي بدون كلام ، وفي التغفي بهذه الحكم البكماء . ان حقيقة الوضيعين – فلاحين ، نساء ، وطنين ، خدم ، صناع ، مساكين – تجد في الصمت خير معتبر عنها .

بيد ان مثقفي اليمين يتكلمون كثيراً . وحرية التعبير هي احدى الحريات التي يطالبون بها بأكبر قدر من الحماسة . وان ايمانهم لقليل ، بشكل عام ، في الطاولات الدائرة . ومعظمهم يظل وفياً لعقلانية معينة : لكنهم يتزكون دوماً للاعقلي القدر الضوري لفرض سلطتهم . واذا كانت الحقيقة قابلة للاظهار عالياً ، فإن الفكر سيكون مفتوحاً بشكل ديموقراطي للجميع : لذا فإنهم يقيمون ، مكان العلاقات القوية الضرورية التي ينشئها العلم ، علاقات خائفة وقابلة للنقض . وهم يرون ان المهمة الملقة على عاتق المفكر هي الوصول ، بتجاوز المعطى التجرببي ، الى تلك « الاشكال » التي لا يمكن لغير « الحسن الفراسي » ان يصل اليها ، واكتشاف علاقات فريدة بينها .

وهكذا يأخذ شبنغلر على عاته ان يخلق مورفولوجية ، ونظامه  
كله يقوم على تقاربات شكلية بين اشكال : على التشبيه . إن  
التشبيه يلعب دوراً واسعاً لدى جميع مذهبى اليمن . وهو  
النمط الوحيد في التفسير الذي جأ إليه مونرو في « علم اجتماع  
الشيوعية » : انه يشبه في الفصل الاول الشيوعية بالإسلام وفي  
بقية الفصول لا يفعل شيئاً سوى تطوير نتائج هذا التقارب .  
وعلاوة على ذلك ، يعود مجدداً إلى تشبيهات استعملت الف مرة  
بين الشيوعية والكنيسة ، وبين القرن العشرين وذروة القرون  
الوسطى . هل يريد ان يفسر لينين ؟ اذن فهو يكتب :  
« إن مشكلة عجز سواد الشعب قد تلقت حلاً مشابهاً حل لينين  
الذي هو ، مع تبديل مع يجب تبديله ، التنظيم العسكري ...  
إن للتشبيه فعاليته ... ولقد كان لينين دون انت يعرف اول  
نظري وابن مطبق لقيصرية عصرنا ». ويقتصر تويني ، لبيان  
أن بعض الحضارات تجدها يتقدم ، على اقتراح صورة  
 علينا : يحدث لمسلقي الجبال المتعبين اثناء تسلقهم ان يستريحوا  
على صخرة ثانية ، فالبعض ينامون عليها ، وغيرهم يستمدون  
اندفاعاً جديداً : هذا هو مفتاح التاريخ .

اننا نرى أي حرية ترك على هذا النحو لنزوة النظريين :  
إن الواقع لا تفرض عليهم اي تعليل . انت كلاماً منهم ، من  
شبنغلر الى ياسبرز - مروراً بتويني وآخرين كثيرين - يرتباها  
حسب مشيئته . ولقد بين بويون جيداً ، بخصوص أفكار آرون  
عن التاريخ ، في مقال نشرته « الأزمة الحديثة » ، حزيرات

١٩٥٤ ، كيف ان فكرة احتلال المحدث الموضوعية تنقلب الى تعسف ذاتي : « انه لا يلين اذن الحتمية التاريخية » ، بل يقتصر على نقض وحدتها ، وقطعها إرباً . وهذا ما يسميه احتلال المحدث : انه لا يقتضي بالنسبة له تصوراً جديداً للعلاقة العلية ، بل هو فقط مجرد حل للاستمرار يستخدمه في بعض الاماكن المختارة ، في سبيل ما يريد اثباته » . ومن مزايا مذهب التعدد أيضاً ادخال انقطاعات في العالم تحبذ التدخلات المفرضة للذات المفكرة .

ان نظرية الاشكال تتباين علامة على هذا مع ذلك الميل الأساسي للفكر البورجوازي الذي اشرنا إليه سابقاً : المثالية . انهم يؤكدون لنا أن الاشكال توجد بشكل جوهري ، لكنه وجود تحت الارض ، لا يمكن الوصول إليه . وإذا ما واجهناها بالعالم التجربى ، فإنها تتجلى كأساطير خالصة . أما كيف تسمح الاسطورة بالتملص برشاشة من الواقع ، فإن بوترو يقدم على ذلك مثالاً رائعاً في ١٩١٤ حين كان يعرف الحرب : « نضال ديكارت ضد كانت » . وعلى هذا النحو يعرفون اليوم حرب كوريا : نضال الحضارة ضد البربرية ، وهكذا تم الشمودة على الكوريين . وفي تعبير « اسلام القرن العشرين » ، من ذا الذي يمكنه أن يجد البروليتاريين الذين هم من لحم وعظم ، المنضمين الى الحزب الشيوعي ؟ الديمقراطية الانكليزية ، العمل الفرنسي ، الثقافة : وراء هذه الاصنام الكبيرة ، يعتقد المستغلون ، والمعمرون ، وأصحاب الامتيازات ، انهم مختبئون جيداً .

ان المثالية المتعالية تكل على احسن وجه لدى المحافظ المثالية النفسية – الطبيعية : ان هذه الاخيره تعزل الاشياء عن الوعي ، والاولى تحمل محلها تجريدات . ولا تعود الاشياء شيئاً ، بعد ان حرمت من حضورها وجودها . وبدهاً من هنا ، يستطيع كل انسان ان يطرز حسب مشيئته في السماء التصورية . إن له الحق في ان يسجل فيها علاقات مثالية لا تتباين مع أي تجسيد ارضي : هكذا يبرر بنهاه النظام الرأسمالي بالمثل الاعلى الحق غير قائم على القوة ، مع اعترافه ان القوة هي التي تقوم اليوم الحق فعلياً . وغيره يربط الرأسمالية بالحقيقة ، بالشرف ، بالحرية : إن المُسْتَلُ في السماء ، مثل الكلمات على الورق ، تتعايش دون ضيق .

بيد ان التصعيد المثالي ليس تعسفياً كل التعسف بشكل عام . ان المذهب البورجوازي ، باعتماده على تصعيد متعدد لتجريد انسان الجماهير من كرامته المفكرة ، يستخدم المثالية لنفيه من عالم القيم . إن « الفئات الجميلة » التي يرسمها في السماء هي بالفعل الفئات البورجوازية : وستكون لعبة جميلة ان نؤكد ان مصيرها مرتبط بمصير اصحاب الامتيازات وان المضطهد ليس له أي حصة فيها .

اننا نعرف بما فيه الكفاية ان مفهوم الحرية مثلاً يتعدد بالامتداد والادراك بهذهأ من الحريات البورجوازية . إن الحرية توجد حيث يكون البورجوازيون احراراً : هذا ما يعبر عنه دون تزويق ، السيد لاترغفي في تحقيقه الذي نشرته « باريس -

بريس » تحت عنوان «خمسة عشر يوماً في هانوي ». انه يكتب: «هایفونغ من أقبح مدن العالم ... إن الروائح فيها حادة ، والبؤم والوسع يقبضان القلب »، والبغاء مزدهر فيها . لكنها مع ذلك الحرية» . ان البغاء والوسعين والبائسين لا يستطيعون نقض الحرية التي يتمتع بها في هایفونغ السيد لاترغى وقبضة من أصحاب الامتيازات : «انها الحرية ». ويتحدد معنى الكلمة موضوعياً ، من جهة اخرى ، بالوضع البورجوازي : ويعرف ليون ويرث ، في العبارة المذكورة سابقاً ، بذلك بوضوح . أن نحدد نظاماً حراً بنقيضه الذي هو النظام ستاليني ، فهذا يعني تحديده موضوعياً بالنظام الرأسمالي . ان فكرة الحرية تشتمل ، بالنسبة المستعبد الأميركي في الماضي ، على الحق في امتلاكه العبيد : وهي تشتمل بالنسبة للبورجوازي اليوم على الحق في استغلال البروليتاريين .

كذلك فإن الثقافة والذكاء يتهددان بدءاً من معاير بورجوازية : إذن فيها موجودان لدى البورجوازيين . ويلاحظ كروزيه<sup>(١)</sup> ان روائز الذكاء في أميركا تثبت بشكل محتم ان الاغنياء أذكى من الفقراء : «ان اطفال الاغنياء يتتفوقون دوماً في روائز الذكاء على المعدلات الوسطية لأطفال الفقراء . ولما كانت المعارف والمواقف المذكورة في روائز الذكاء معارف ومواقف اغنياء ، فإن العكس سيكون مدهشاً للغاية . وحتى

١ - «هندسة الانسان» ، الازمنة الحديثة ، حزيران ١٩٥١ .

مفهوم الاستواء الاميريكي هو استواء بالنسبة للأغنياء<sup>(11)</sup> .  
ويحدث ان تتألق بعض المثل بنقاء ناصع دون ان تكتشف  
البورجوازية في داخلها اي تجسس لها : فهم غالباً ما يعلنون  
اليوم ان المرأة تضييع ، وانها ضاعت . والرجل بالذات؟ الا يزال  
يمجد لنفسه في منتصف هذا القرن مثلاً قيماً ؟ واذا كانت النخبة  
المأساوية تبدو احياناً مستعدة لنفي نفسها من الانسانية ، فهذا

---

١ - قدم بليزاك في « فيزيولوجيا الزواج » ألمع مثال عن هذه الطريقة .  
انه يأخذ على عاتقه الكلام عن المرأة ، فيقول : يوجد في فرنسا حوالي خمسة  
عشر مليون امرأة . لكن ... « سنبدأ بمحنة حوالي تسعة ملايين مخلوق  
من هذا العدد الاجمالي من يبدون لنا للوهلة الاولى انهم يشبهون المرأة بما فيه  
الكافية ... ان التسعة ملايين مخلوق الذين متكلم عنهم يقدمون عند الاحتياط كـ كال  
الاول جميع الصفات المنسوبة للجنس البشري .. اما ان نرى فيهم نساء ، فهذا  
ما لن ترتضيه فيزيولوجيتنا .. ان المرأة نوع نادر في الجنس البشري . انه ...  
تعرف بشكل عام ببياض الجلد ، ونعومته ، وعذوبته . انها لا تقوم بأي عمل  
مضمن ... والشيء بالنسبة لها تعب . هل تأكل ؟ انه سر ... وهذه الملامح التي  
اخذتها عرضاً بين الف اخرى هل تتطبق على تلك المخلوقات التي تكون ايديها  
سوداء كأيدي القرود ، والتي يكون جلدها مدبوغاً ؟ وأسفاه ! واذا كان  
توجد في العالم بائعات جالسات طوال النهار بين الشمعدان والسكر ، وفلاحات  
يحملن الأبقار ، وتعيسات يستخدمن كدواب ركوب في المعامل او يحملن السلة  
والجرفة والقففة ، واذا كان يوجد لسوء الحظ الكثير من المخلوقات السوقية التي  
ليست حياة الروح ومحاسن التربية وعواصف القلب المستطابة بالنسبة لها الا  
فردوساً لا يمكنها الدخول اليه ، واذا كانت الطبيعة قد ارادت ان يكون لها  
منقار غرابي ، وعظم لامي ، واثنتان وثلاثون فقرة ، فلتبقى بالنسبة للفيزيولوجي  
من نوع الغوريلا ! ان الرجل ذا العاطفة ، وفيلسوف الحسد ، سيلقيان بها  
كما تفعل خارج نوع المرأة .

فقط لأنها تعلم أنها في خطر . إنها 'تسحر بنفسها على صورة ما  
ما كانته ، لأنها تدين الحاضر في حنين باسم ماضٍ أكثر رأفة .  
الآن ادعاهما لا يتخلص لذلك . فهي تحتكر ، متتجاوزة  
الفئات المتفrade ، الفتاة العلية : الإنساني . ان المفكرين  
البورجوازيين بحاجة ، كما رأينا ، الى الإيمان بأن الإنسان يتكلم  
ب Lansanem ، الإنسان اللامقسم ، المجتمع ، الوحيد . ان البورجوازية  
حربيصة على ان تصور نفسها طبقة عالمية . سوف تؤسس فكرة  
الإنسان اذن بدءاً من الخصوصية البورجوازية . يقول ماركس :  
«الإنسان هو ما هم عليه البشر» . وهذه الواقعية تمنع كل غش .  
لكن المثال يرتفع الى مستوى المثال بإبعاده عن تجسدهاته كل ما  
يعتبره عرضياً : وهو الذي يقرر فقط ما يراه أساسياً . وما إن  
يتقرر انه هو وحده الذي يجسد الإنسان ، فمن سيحقق له  
تجسيده ؟

ان الإنسان يتبع عن طواعية لدى المفكرين الغربيين بتعبير :  
الشخص الإنساني . وهذا المثال يدخلنا الى الميدان الأخلاقي :  
وسوف نرى عن قرب الحيلة التي تمنع بها الجماهير من ولوج هذا  
الميدان .

# الأخلاقي

قبل الحرب الأخيرة ، كانت أخلاق اليمن بطولية بشكل حماسي<sup>(١)</sup> . ولقد كان شبنغلر بعد نيته يكتون عن البطل فكرة متعجرفة : « البطل وحده ، انسان القدر » في العالم الواقعي بشكل نهائي ». انه هو الذي يصنع التاريخ ، ويعمل ، ويحارب . ويأخذ شبنغلر عن نيته مدحه لحياة المحارب والموت العسكري . والاتصال الحقيقي بين البشر ، الاتصال الذي تفشل اللغة في تحقيقه ، يمكن الحصول عليه بالعنف . كتب كلوديل : « السيف أقصر طريق من قلب الى آخر ». ويقتضي تعدد العروق ، والثقافات ، وانفصال الافراد العرقى الا تكون حقيقة الانسان الصدقة بـل الصراع . كتب دريو : « ليس

---

١ - « تأدية الخدمات عن طريق القيادة وتصور حياة بلا خوف بذلك وبلا توبیخ على طريقة بایارد الذي كانت تكفيه الشجاعة والوفاء ، والتفكير فيها فقط حين يفتقر الانسان الى منكبین عريضين ، والشعور بالدموع تغورق في عينيه ، هذه هي غنائية اليمن ». « لـلان » .

صحيحاً ان العالم يريد ان يكون سعيداً وموحداً . انه منقسم ، متعارض في أجزائه » . وكتب ايضاً : « ان صراع الموجودين لم يخلق كي يكن التغلب عليه » . ولقد كانوا ، في ذلك العصر ، يصفقون للعنف ، ولو كان عارياً من البطولة : ان الانسان يؤكّد نفسه في المجازر ، وفي المذابح . ويتحقق الانفصال الذي هو والوجود شيء واحد كل التحقق في دم الغير : ان المرء يثبت حقيقته « هو » بالقتل ، او على الأقل بأن يحمل بالقتل . ولقد كتب دريو ايضاً في « الشاب الأوروبي » : « لا شيء يتم الا في الدم . وانني آمل في حمام من الدم مثل شيخ محاصر بالموت » . ويجد « جيل » نفسه ، بعد ان بحث عنها خلال اربعين صفحة من الرواية المعروفة باسم ذاته ، في اللحظة التي يتناول فيها بندقية ليطلق النار على العمال الاسبانيين . ويعجب دريو بدينامية الشبان النازيين ، ويتطوع الى جانب دوريو . وأنذاك كانوا يحيون في موسوليني وفي هتلر تجسدات البطل .

ان الدم المسفوح لم يخدم البورجوازية . فقد أصبحت البنديقية ، كالسيف ، سلاحاً باليأ . والقتل الفعل والجماعي الذي تقوم به القنبلة الذرية لا يمكن قط النظر إليه على انه تأكيد للوجود . والميـوم ، اذا كان بعض الغربيين يتمنون بشكل موضوعي الحرب فهذا فقط من قبيل دوامة الارهاب . ان اليمين المقهور يكون عن العظمة فكرة اكثر توائعاً بكثير عن الماضي . وصار اخلاقيوه لا يعظون بالبطولة بل بالحكمة . وهذه الاحالة للطيش الفاشستي الى رومانية بورجوازية ، انا ياسبرز هو الذي

تولى تصورها ، كما رأينا . ومن فلسفته في المتعالي تتبّع الأخلاق العملية التي يقترحها على نخبة ما بعد الحرب .

لا يزال ياسبرز يسمى انسان النخبة بالبطل ، ولا تزال الفضيلة العليا للبطل بالنسبة له النبل . لكن هذه الكلمات قد تبدل معناها : « إن البطولة الوحيدة التي لا يزال الانسان قادرًا عليها اليوم هي بطولة عمل غير صارخ ، بطولة فعل بلا مجد ... ان البطل الحقيقي يتميز بوفائه لدعوته . ان البطل يقاوم اليوم امتحان الجماهير التي لا يمكن فهمها . ان البطل المعاصر لا يستطيع باعتباره شهيداً ان يلح خصمه وهو نفسه يظل لامرئياً من حيث ما هو عليه حقاً » .

هكذا ، فقد أصبح البطل شهيداً ، وهو يتحدد على الاخص سلبياً : بمقاومته الجماهير . مقاومة عمياء . انه لا يعرف ما يحاربه ولا المعنى الذي لحربه : وهذا موقف العديدين من اعداء الشيوعية . بيد ان ياسبرز يزعم انه يعطي محتوى ايجابياً لفكرة « الدعوة » : « إن الافضل من حيث النبل الانساني ... هم ... البشر الذين يكونون انفسهم » . ويحدد : « الانسان الرائع ، الاصيل الوحيد الذي اصادفه هو الانسان الذي يكون نفسه ... وهو ، بتتساؤله عن كل شيء في تفكيره بذاته ، يتوصّل الى ملاقاة نفسه في اللحظة العيانية باعتماده على نفسه ... انه يتوصّل الى نفسه كما يتوصّل الى هبة . والتفكير بالذات يتتجاوزه الوجود الفعلي » . هذا هو هدف هذه المعركة الغامضة اذن : يحب الحفاظ على امكانية ان يكون المرء نفسه .

لكن ليس المقصود هنا فردية فوضوية ، شبيهة بفردية اندريله جيد حيث كان يبحث نتائج على ان يجعل من ذاته « كائناً لا يمكن ان يكون هناك بديل عنه على الاطلاق » . ان الاصلة ، برأي ياسبرز ، تتجاوز نحو المتعالي : « حيث اكون نفسي ، لا اكون نفسي فحسب » . وتحققها لا يمكن بتنفيذ افعال مجانية بقدر متفاوت ، بل بالوفاء . وهنا يقترب ياسبرز من « باريس » الذي كان يعظ بتواصل جذور الفرد في « الارض والاموات » . وكيف يحقق الانسان نفسه ، يجب عليه ان يطالب بارتباطاته بعرقه ، بأسرته ، ببلاده ، بتقاليده ، بصداقاته . عليه ان يأخذ على عاتقه بدءاً من ماضيه خصوصية وضعه الراهن . وبارتضائه نهايته يصلع العمق وينفتح على المتعالي . وهذا النجاح ليس متواحداً : « إن النبل الحقيقي ليس من عمل كائن منعزل . انه في الارتباط بين البشر الاحرار . ان نبل النفوس التي تكون نفسها متوزع في العالم . ووحدة هذا التوزع هي مثل الكنيسة العالمية لجسم صوفي تشكله سلسلة غفل من الاصدقاء » .

ان مفهوم ياسبرز ، أن يكون المرء نفسه ، يشكل احد الافكار المشتركة الشائعة والمتكررة كثيراً لدى اليمين . واستشهد بطريق العرض : « يجب ان نعيد للكائن الانساني الذي قنته الحياة الحديثة شخصيته . يجب ان يحدد الجنان من جديد بوضوح ... ومن المهم بعد ذلك ان يطور نفسه في الغنى النوعي المتعدد لفعالياته » ( الكسيس كاريل : « الانسان ذلك الجھول » ، ١٩٣٩ ) . « إن الثائر من عصر يزعم ان لا حساب

له الا بشكل جماهيري ... هو ان تظل بعض الفردية منيعة كالمحضون . لا شيء يستطيع شيئاً ضدها . هنا انكليزي ، وهناك ألماني ، وغيرهم في أماكن متفرقة ، سيمكنون وحدهم من السيطرة على المناقشة . والباقي ليس الا كذباً ( براسبار ، ١٩٤٨ ، في « الطاولة المستديرة » بخصوص يونفر ) .

ويتجدد كلود ايلسن في « حرية الفكر » ، في ١٩٤٩ : « الالتزام الوحيد الذي له قيمة هو الالتزام الذي نلتزمه مع انفسنا ، لذاتنا فقط ، هو التحقيق الوعي لذاتنا ولقدرتنا المتوحد الذي لا يمكن ان يكون له بديل » .

وكتب جاك لوران في ١٩٥٤ في « الباريسية » : « ليست المشكلة بالنسبة لكاتب ان يقبل السياسة او يتتجاهلها لكن ... ان يتتجاوز السياسة الى ما وراءها . فهناك يكون نفسه . والكاتب الذي لا يكون نفسه هو عدد زائد » .  
الخ .

ونجد ايضاً لدى العديد من هؤلاء الافراد الذين لا يمكن ان يخل محلهم بديل حملماً يجسم صوفي . ويتمثل آبيليو ان يجمعهم في نوع من الفلكل . ويقترح مونرو انشاء جمعية ، هدفها البدائي محاربة الشيوعية . ونحن نعرف الصيغة التي كثرت خلال السنوات العشر الاخيرة هذه : « نحن لا نزال بضعة افراد ... » : والفرد الذي يلفظها يؤكّد انتماهه الى نخبة اقلية بشكل بطولي .

لكن اي محتوى عيني نعطيه اخيراً لمبدأ : كن نفسك ؟ ان

الجواب اجتماعي : يجب ان تكون مختلفاً. ان الوفاء الذي يعظ به ياسبرز هو تأكيد نهائتنا المفردة ، وبالتالي المطالبة بتميزنا . وأهمية هذه الفكرة يشير إليها السيد دي رو جون . فقد اخذ عن شيلر التعارض بين الفرد ، وهو عنصر الجماهير البسيط ، وبين الشخص الذي يعرفه بأنه « الفرد الحامل للدعوة تميزه عن الجماهير لكنها تربطه عملياً بالمجتمع ». ان تكون حراً ، وان تكون نفسك ، فهذا شيء واحد : التميز دوماً وابداً . « يقول كل أوروبي حقيقي<sup>(١)</sup> : الحرية الوحيدة التي لها اهمية عندي هي حرية ان احقق نفسي ، ان ابحث ، ان اجد ، ان اؤمن بحقيقة ... اذن لن تكون هناك ابداً حرية واقعية الا في الحاجة وفي الحق وفي اراده التميز عن الجار » : وباسم الشخص ، وبالتالي باسم التميز ، يعظ رو جون بالحماسة التي نعرفها بالدفاع عن اوروبا ضد البربرية . واليمين كله يشكل معه جوقة واحدة . وآرون نفسه ، بعد ان يتخلى عن ريبنته المكيافيلية ، يتحمس بشكل رومانتيكي ليتبحج « بالدعوة التي لا بدديل لها بالنسبة لـ كل كائن انساني ، تلك الشرارة التي هي كل شيء ». ( « الحروب المتسلسلة » ص ٤٧٩ ) . ومن البديهي ان علينا ان نفهم كلمة الفرد في تصريحات كلوديل بمعنى الشخص : « الفرد قبل كل شيء ، والمجتمع لا يوجد الا ليستخرج من الفرد كل ما يمكن ان يعطيه » . ( « مذكرات مرتجلة » ) . وكذلك :

١ - اذا لم يقلها لا يكون حقيقياً ، لا يكون اوروبياً . بل اشك في ان يكون انساناً . هؤلا ايضاً مثال من الطريقة التي يصنع بها اليمين المثلث . منشور في « الأدلة » .

يوجد على كل حال شيء مزعج في هذه القضية . ويتحدث روجون بشكل غريب عن الافراد الحاملين لدعوه : من حملهم ؟ ان هذه الكلمة التي تفلت منه لها دلالتها . ان الدعوه يحب ان تكون ، لتستحق اسمها ، نداء موجهاً من الذات الى الذات . لكن اذا فهمنا جيداً ان « الفروق الراجحة » يطالب بها اصحاب الامتيازات كشرط لأصالتهم ولحريتهم ، فمن سيطالب اذن بالفروق الخاسرة ؟ والحال ان الفروق الاولى لا يمكن ان توجد الا بوجود الثانية : لا اغنياء بدون فقراء ، ولا سادة بدون

عيid . في أي عصر طالب بشر في حماسة بحرية التميز بالفقر ، بالعبودية ؟ في الحقيقة ، إنها لمحة كثيبة ان نصور الماضي و كأنه عصر كان العيid فيه ، والصناعة ، والعمال ، وباختصار المضطهدون ، يعيشون « مُشرّفين » ، حسب نداء « دعوة » ما . ولا بد من سوء نية مخجلة للزعم بأن بروليتارياً يستطيع ان يبحث ويجد في اوروبا رأسالية حقيقته<sup>(١)</sup> التي لا بديل لها . ويعرف ألكسيس كاريل الذي لا يخىئ ذلك : « يبدو ان التنظيم الحديث للأعمال والاتاج المقنن متــاقضان مع تطور الشخص الانساني<sup>(٢)</sup> .

على كل ، ان روجوت والوروبيين الحقيقيــين الآخرين يقبلون في الواقع ان المختار وحده يتحقق نفسه كشخص . ويرى ياسبرز ان البطل يحدد نفسه بقاومته الجاهير : بدون جاهير ، لا يكون هناك ابطــال . ان وجود انسانية متميزة ضروري كي

١ - هناك نص لشاردون في « رسائل الى روجيه نيميه » يقدم لنا مثلاً ممتازاً للخلط المرض الذي خلقه اليدين بين الدعوة والاضطهاد . «رأيت (أجرة الخوف) . ان اقتحام هذين الرجلين المشاق يشير استثنكار الرقيقين النقوس ، لأن هناك أجراً . فما ان يظهر الخلب الرأسمالي ، حتى يحتدوا . ان متسلق الهيمالايا يتعرض للخطر نفسمــا ، لكنه يفعل ذلك من اجل لا شيء . ان الفضول يدفعه ، لكي يكون اول من يدخل في المجهول . هذا حسن . على الناشر ان يقول للمؤلف : هذا العمل الجميل ، حقاً ، لن ادفع لك عنه . فلو فعلت ذلك ، لكان هذا مؤسفاً ، ولأفسد كل شيء » .

٢ - الانسان ذلك المجهول ... لا يأخذ كاريل اي أهمية اصلاً لهذه الملاحظة التي تكفي لتهدم نظامه كله رأساً على عقب .

يتميز البعض باختلافهم : فهذا التمييز اذن موقف سلفاً على البعض . اما ان ننسب الى جميع البشر كرامة الشخص ، فهذا يعني طرح مساواتهم ، يعني التسوية ، والتنميط ، والاشتراكية . لكن لا مجال للتهجم على الحضارة بسبب هذه النزعة الاستثنائية . فاذا « كل كائن انساني » يتميز « بدعوة لا بديل لها » ، فإن العامل غير المختص ، والعامل المختص ليس كائناً انسانياً . اذن فلا يهم ان يكون هذا النظام لا يسمح له بأن يجعل من ذاته شخصاً . فالوحيدون الذين يستحقون اسم انسان هم القادرون على هذا التحقيق : اذن فهو يمكن بالنسبة لجميع البشر الجديرين بهذا الاسم .

لو تركنا انفسنا لحظة تخدع بالمالية المغرضة للأشخاص المتكرسين للتفكير ، لتوجب ان ندهش من مفهومهم الغريب عن الاخلاق . فالاخلاق ، بالنسبة لجميع الاخلاقيين الحقيقيين ، القدامي الحكيماء او سبينوزا ، اسلوب معين في حياة واقع العالم . لكنهم هنا يقتربون ، على العكس ، تزييف هذا العالم للحفاظ فيه على قيم بالية . ان الجماهير موجودة : وواضعو عقائدها يقبلون بذلك . فعليهم اذن ان يأخذوا على عاتقهم تحديد اخلاق الجماهير . لكنهم ، على العكس ، يقفون موقفاً عنيفاً ضد « العالم الحديث » ، ضد الحاضر والمستقبل ، باسم ماض خيالي . لكن مقاصدهم شفافة بشكل لا يسمح لنا بالتأخر للحكم في هذا المجال . فالملصود دوماً وابداً إسكار الجماهير لحساب النخبة . وهم ، في مجال علم الجمال ، يتبعون الهدف نفسه بالطرق نفسها .

يصرح احد ابطال<sup>(١)</sup> دريو، معتبراً بيدى امرأة جميلة جداً، قائلاً : « حين كنت أرى قدميها ويديهما ، كنت أبارك قسوة أسرتها التي كانت تطاً المندو منذ ثلاثة قرون لتضمن روعة عدم العمل في اصابع رقيقة وحازمة كهذه ». ان هذه الفكاهة المثيرة للتحدي تعبر عن احدى عقائد اليمين الاستقراطية : علينا ان نفضل المجال على البشر . وال المجال وجه من اسمى وجوه ذلك الواقع اللا إنساني الذي يشكل حقيقة الانساني ومن الواجب الحفاظ عليه « ضد » البشر . « الحفاظ على الانساني » العمل بحيث يوجد لزمن طويلاً ايضاً تعزيز إنساني عن العالم بواسطة الرقص ، والأغاني ، والانصاب » : هذا هو الهدف الأعلى برأي دريو . والجماهير تقف عقبة امامه لأن : « الإنسانية قبيحة ، سواء أ جاءت من شيكاغو او من بونتواز » .

١ - «الرجل على الجواد».

ان مصير الجمال مرتبط مباشرة بصير الفن : انه واقع  
معطى يمكن الوصول إليه بالتأمل الجمالي . لكنه لا يتحقق تماماً  
الا في الفن الذي يعيد خلقه . وإنما في الفن يتتجاوز الإنسان  
نفسه نهائياً . وهذا التجاوز أهم من المخلوقات الحية التي هي أداة  
له . هذا هو معنى نص مالرو في « بسيكولوجية الفن » :  
لتنصب الآلهة يوم الدينونة الأخير في وجه الاشكال التي كانت  
حية شعب التأليل ! فليس العالم الذي خلقته هو الذي سيشهد على  
حضورها : إنما عالم التأليل ! ان الاشكال التي يعبر من خلالها  
الوجود الإنساني عن نفسه تتغلب على احتلال حدوث تجسداته .  
فهذه التجسدات هي دمى في يد القدر : أما الفن فهو ، على  
العكس ، ضد القدر ، انه يرسينا في الأبدي . وما الفرد المؤقت  
الوجود في نظر الابدي ؟ ولا يأخذ علماء الجمال الغربيون على  
هذا العالم التجريبي طابعه القابل للفناء فحسب ، بل ايضاً  
فوضاه وعيشه . ان الفن يقيم مكان هذا السديم عالماً منظماً ، له  
معنى . ويهنىء كايو الشاعر سان جون بيرس على انه عمل على  
« ألا يوجد العالم الا موزعاً الى انواع والى اجناس ، الى سلام ،  
ودرجات ، واصناف ، وترقيات » . وبفضل شعره : « يوقف  
الطقس والاحتفال ، البعض الوقت ، في مكان معين ، الشغب العالمي » .  
وانها لمصالح الفن التي يضعها المدافعون عن الغرب بكل  
طوعية في المقدمة . اما القيم الابدية الاخرى فهي ملتيسة ، لا  
تفهم . ان الفن يلوك واقعاً لا يقبل الدحض . ورجل اليسار  
يعترف بذلك كما يعترف به المحافظ ، ويعلق عليه أرفع اهمية :

لكنه بالضبط ، ولهذا السبب نفسه يتساءل في ذهول بأي حق تخلط البورجوازية ، في المجالات والمؤتمرات والمهرجانات التي اخذت تكثر منها في السنوات الأخيرة ، قضية الفن بقضيتها الخاصة ؟ إن هذا الخلط لظاهرة جديدة تماماً . ففي القرن الماضي ، بل وفي مطلع هذا القرن ، شكل الادب دوماً تقريباً ثرداً أصيلاً ضد البورجوازية : يكفي ان نذكر رامبو ، مالارميه ، والسراليين . آنذاك لم يكن زمن الثورة السلي - الذي هو التمرد على وجه التحديد - قد تجاوز بعد . وكان للتمرد الفردي ، على الصعيد الثقافي او الاخلاقي او الجمالي ، معنى ومدى . واليوم بات من غير الممكن ان يكون الفنان ضد البورجوازية دون ان يتحالف ايجابياً مع خصومها : هكذا يجد الفنان نفسه ، رغمما عنه او برضاه منه ، ملتزماً . واذا كان يريد الحفاظ على استقلاله فوضوي ، فإن البورجوازية سرعان ما تلحقه بها . انها تتقبل وقاحتة ، وشتائمه ، بتسامح والدي ، مظيرة بذلك الحرية التي تتمتع بها عندها الثقافة . وهكذا استعادت ، متأخرة ، رامبو ومالارميه . ان المتمرد الحديث لا يستطيع ان يتوجه اهل حالة الامور هذه : فإذا ان يقف الى جانب الثورة ، او يقبل بخدمة قضية الحضارة الغربية . وتتآخذ البورجوازية اليوم من الشعر سلاحاً لنفسها ضد الجماهير ، وهو الذي كان يقوم في الماضي على انقض القيم البورجوازية .

مرة اخرى ، بأي حق ؟ انهم يشرحون بأن اواخر الوثنين قد دافعوا بياً ضد بربورية مسيحية عن حضارة كانوا يعتقدون

انها وحيدة . بيد ان البورجوazi الغري يعجب بالاكتدرائيات قدر اعجابه بالمعابد . فقد تعلم حسب تعبير سوستيل : « انتا دوماً بربرون بالنسبة لأحدم » . فكيف يتذرع بثقافته المترفة ليرفض الثقافة التي سيلدها الفد ؟ ان المتدين يحيي ان قضيته هي هذه الحضارة لا غير ، ومصيره يقوده نحو عصر سيشهد ظفر المسلح . ومهمنا هي تأخير هذا الموت : والأجيال القادمة التي ستتنازل ابداً الى الدين لا تعنينا . والحقيقة ، التي لاقيناها في عموميتها ، تظهر في هذا المجال شكلاً الى حد غريب . فنحن نلاحظ هنا الفساد نفسه الذي وجدناه في مجال الاخلاق : إن الفن الأصيل ، كالأخلاق ، يواجه العالم في مستقبله الحي . والزعم بتجميد الانساني ونسخ الاشكال الميتة عنه الى ما لا نهاية هو عمل ضد الفن . والآثار التي تلقى اليوم اعظم ثناء من المثقفين البورجوازيين هي آثار مقلدة . لكن ستندال او مدام دي لافييت كانوا عظيمين لأنها كانوا على وجه التحديد مجددين . واذا كان الفن ضد القدر فإنه سيكون غداً مثله اليوم فشلاً للزمن . إن الشاغل الاول لرامبو جديداً<sup>(1)</sup> سيكون القفز من فوق هذه الحواجز التي

١ - يلاحظ ماسكولو في كتابه « الشيوعية » ، بشأن الشبان الصغار « الذين يهتفون مالرو اثناء كلامه عن الحقوق غير القابلة للفسخ لفرد الكبير ، للعقلية الخلقة ، لنوريا ، لرامبراندت ، لسيزان » : « اي عقيرية شابة يمكن ان توجد بينهم ؟ اي رامبو قادم يستطيع اذن ان يصدق لهذا الدفاع عن العقيرية الذي يقول به مالرو دورياً ؟ ... ( انهم ) ليسوا قلقين الا على حياة افتقارهم لل حاجات الذي لا علاج له تحت المخابىء المزعومة التي تطالب بهما العقيرية ، وهي التي لم يكن لها مغبأً قط » .

ترى انها تحميء .

انهم يردون علينا بأن الانسان لا يستطيع مخالفه القدر الا في لحظة معينة من قدره وبأن المستقبل القريب سيعود ببربرية القرون الوسطى البعيدة . وهذا المستقبل ، حسب تنبؤات النخبة المأساوية ، هو الشيوعية : وبين الشيوعية والثقافة تناقض . والعديد من المثقفين والفنانين ليسوا متفقين على هذه النقطة . ويتهمهم آرون ومونو حتى بالانتاء الى الشيوعية لأنهم ينتظرون منها « ترقية » . فهل يحبذهم النظام الشيوعي اذن ؟ ان كونهم يؤمنون به لا يثبت شيئاً فقد تأكد ان عقولهم خاطئ . ان رأيهم ، الذي افسده الحقد ، يساوي صفرأ . ان بدويات معصومة تعارض مغالطاتهم : فالفن بشخصه قد تكلم بلسان السيد ستانسلاس فوميه : « لسنا نحن اذن ، كتاباً وفنانين ، الذين يرفضون العبودية التي نوعدها ، بل هي ماهية الفن ، وبقاء نيته التي تهرب من ذلك . واذا كانت فلسفتكم لا تعرف بذلك ... ، فان الفن يقول لها بمعصوميتها انها خاطئة وان تطبيقها الاخلاقي مستحيل . ان علم المجال يظهر سخاف الاخلاق ». ( « حرية الفكر » ) .

ان الحرية التي يتطلبها الفن هي الحرية البورجوازية ، الحرية التي تعرف كيف تتفق مع القدر والبؤس والفساد . وبقاء هذه العيوب على قيد الحياة ضروري لها . لأن الحرية هي الاختلاف : لا بد اذن من الشر الى جانب الخير ، والقراء الى جانب الاغنياء . هي ذي طريقة جديدة في تبرير الظلم : إن

الفنان الغربي يؤكّد انه ضروري لعمله . لنستمع بالاحرى الى مونترلان : « اني شاعر ، بل لست الا شاعراً وأنا بحاجة الى ان احب واحيا كل تنوع العالم وكل تناقضاته المزعومة لأنها مادة شعري الذي سيموت تضوراً من الجوع في عالم لن يسود فيه الا الحقيقى والعادل ، كاسنموت عطشاً اذا لم نشرب الا ماء نقىً كيميائياً » . ( « منابع الرغبة » ) .

اذن من المستحسن ان يموت ملايين البشر تضوراً من الجوع لتجنّب شعر مونترلان هذا المصير . وما اكثر العبريات الغربية التي تنشد معه جوقة واحدة : كم من المحاجات ، والفالقات ، والبربريات ، ستتخلد اذا كان عملي بهذه الثمن ! وتوافقهم العقول المتميزة : إلغاء الشر سيعنى جعل الأرض تفهّمة وابعاد ذلك « اللوح المض »<sup>(١)</sup> ، الذي يعطي الحياة طعمها . وإحدى فضائل حضارتنا هي على وجه التحديد كونها مذنبة ، كما شرح تيرير مولننـيه . ان شقاء البشر ضروري للتعالي ، كما يؤكّد ياسبرز : وهم يؤكّدون لنا انه لا بد منه علاوة على ذلك للجهال وللفن . ان المذاهب والسياسات التي تتطلع الى سعادة الانسانية هي غير ميتافيزيقية بشكل منحط ، ومعادية للجهال بشكل فظ . لنبقى على هذا العالم اذن ، كما هو .

مرة اخرى ، اتنا لا نفهم لم ستكون الانسانية اذا تجددت عاجزة عن التعبير عن نفسها بـ « اغانٍ ، ورقص ، وانصاب » .

---

١ - كلوديل .

والمحافظون يرددون بما فيه الكفاية انه « سيكون دوماً على الأرض شقاء »، ليمكن قلب حجتهم عليهم : فبعد إزالة الاضطهاد ، سيبدأ تاريخ الإنسانية الحقيقي وما من أحد قال انه سيكون سهلاً . وفي الحقيقة ، يستحيل علينا ان نراه مسبقاً . إن من يرثاب قبلياً بالتجديد ربما كان أكاديمياً : لكنه ليس فناناً بالتأكيد . ويلاحظ ماسكولو عن حق في « الشيوعية » : « منها انقصنا القدر الى درجة معينة »، فليس من المبالغة في التفاؤل ان نفكر بأنه سيبقى دوماً ما فيه الكفاية من « القدر » للبحث على الفعل الفني الذي يقوم على تصوير سلبه » . ويضيف : « إن هذا الفن المتواطئ مع الشقاء لا يمكن ان يكون فناً كبيراً . فسينتهي الى خيانة الشقاء والى خيانة نفسه بالتالي » .

لكن من السذاجة ان ننظر بعين الجد الى ثرثرات العبريات الغربية المغرضة : إن قصدهم جلي للغاية . ولقد اعترف دريو بصراحة وهو الذي كان يحدث له كثيراً في شبابه ان يتكلم بصراحة : « لا اعرف كيف احب . ان حب الجمال ذريعة للتتشريع على البشر » . إن هذه الكلمات تؤكد ما أظهره سارتر جيداً في « القديس جونيه » : « ان النزعة الجمالية لا تنبع على الاطلاق من حب غير مشروط للجميل : انها تلد من الحقد » . انها سلاح يستخدم من جهة اولى لتبرير النظام القائم ، للتذرع ، من ناحية ثانية لاحتقار الذين يضطهدون هذا النظام ويضحى بهم . لقد اطلعني اعضاء من النخبة الاميركية ذات يوم على المحاكمة العقلية التالية : « إن كتب هنفواي كتب شعبية ، والجمهور

الكبير لا يحب الا ادب الرديء ، اذن فهمنغواي يكتب ادباً رديئاً » . ان القياس المنطقي يصبح قوياً ما إن تقبل المقدمة : فتتبادل الجماهير والقيم النفي . ومبداً النفي هذا يؤسس علم جمال اليمين . إن النــادر وحده ثمين . وهو يتهدم بتعتممه . وهكذا مثلاً الاناقة . انها مفهوم سليٍ محض .

إن الأنقة تؤكد نفسها باختلافها عن سائر النساء : فإذا أصبحت الجميع أنیقات ، ما عادت واحدة منهن أنیقة ، ويتبخر مفهوم الأنقة بالذات . لهذا فإن الاناقة ، من بين القيم الجمالية ، هي أكثر ما تتغنى بها النخبة عن طواعية . وهي تقدر ايضاً التميز الذي هو بالتعريف وقف على البعض . ان الجمال نفسه مصور على انه صعب ، سري ، لا يفهمه العامي : وما يحبه هذا الأخير سرعان ما يفقد حظوظه .

بيد ان هناك مفهوماً جمالياً يبدو محتواه أكثر ايجابية : النوعية . وفي الحقيقة ، إن مصيرها مرتبط بصير المجتمعات المتسلسلة في المراتب . ان كل شخص انساني يملأ ، اذا تمسك بمحكمة بعكانه ، قيمة جوهرية معينة : وهذه القيمة تتجلّى في روعة حركة انشوية ، في نبل حركة فلاحية ، وعلى الاخص في نوعية الشيء الذي صنعه الصانع . لكن طبقة الصناع تنتج قليلاً : فالسلعة النوعية نادرة ، اذن فهي وقف على قبضة من الهواة ، لا يقدرها غيرهم . وما ينحها قيمتها هو طابعها الارستقراطي اكثر منه لذتها الحسية . ان نبيذاً قد يقدم للخبير الذي يتذوقه « شكلاً جوهرياً » : ففرنسا الواقعية . ولو انتاج هذا النبيذاً

انتاجاً كمياً مقتناً ، وكان له الطعم نفسه والعطر نفسه ، لما قدم للمتدوين ذريعة ليتميزوا: حتى لو تابعوا اشربه بلذة، فإنهم ما عادوا يهتمون به . وهكذا فإن مخرمات الآلة - وهي منسوبة بدقة كبيرة عن مخرمات اليد حتى أنها تقلدتها حتى في عيوبها - لا تملك اي قيمة باعتبار أنها منتجة بشكل كثيف ويعتمد اول الجماهير : لا قيمة اقتصادية ولا قيمة جمالية ، فــاثان القيمتان تسيران جنباً الى جنب . ورغم المظاهر ، فإن فكرة النوعية تحتوي ايضاً على مبدأ نفي : يمكن التأكيد ان الفن والقيم الجمالية ستكون غائبة عن المجتمع ، اذا ما أصبح جماهيرياً، باعتبار انهم يعرفون القسم بأنه ما يرفض منح الجماهير نفسه <sup>(١)</sup> .

١ - لا تقاد تكون هناك فائدة من الاشارة الى الحجة : إن الفنانين وهواء الفن موجودون في النخبة وحدها . ولقد كان برنار شو يقول للأمير كان، بخصوص السود : « انت ترغمونهم على صبغ الاحدية ، وتستنتاجون انهم غير صالحين الا ليكونوا صابغ احذية . ونحن نرى بما فيه الكفاية اليوم لماذا لا يستطيع عامل مختص ان يكتب « من جانب سوان » ولماذا يقدرها بصعوبة ٠

# الْقِعْدَةُ وَاللَّهُتَبْرَ

هكذا اذن تبرر النخبة النظام الذي يشجعها . ان البشر ليسوا شيئاً : ولا اهمية إلا للواقع المما فوق انساني الذي يتجسد في المجتمعات المتسلسلة المراتب لا غير . والنخبة تساهم فيها على ارفع درجة . و اذا كان الفرد يريد ان يصل الى حقيقة ، ان يتحقق نفسه كشخص ، ان يظهر الجمال ، فلا خيار له الا ان يقبل بتسلسل المراتب . و آنئذ يعترف به المختارون بأنه شبيههم ، ويسلمون له بالمببدأ الشهير « المساواة في الاختلاف » . والواقع ، كما سيقول اورويل ، أن من كانت الاختلاف مفروضاً عليهم يشعرون بأنفسهم أقل تساوياً من يختارونه : والأغلبية لا تشعر حتى أنها متساوية بالمرة . ويدفعهم عدم انضباطهم الى السقوط في الجماهير التي لا يبرر وجودها التجربى الغليظ اي شيء . ان الجماهير لا تصل لا الى الحقيقى ، ولا الى الخير ، ولا الى الجميل . ان الالهي سيصبح انسانياً ، وبالتالي سيموت ، لو كان مشتركاً بين الجميع : لكنه لا يحازف بهذا الخطير لأنه يعرف بدءاً من

مبدأ استبعاد ونفي . ولقد رأينا كيف ان الحضارة ، بمحنة  
الدفاع عن القيم ، تحرم بجموع البشر من الحقوق والمزايا التي  
تطلق عليها هذا الاسم . والمفكر الغربي لا يعتبر القيم لذلک  
اقل عالمية : فقد اصبح العالم بمعنايته مقتصرًا على البعض .

على ان هناك انتقالاً يصعب القيام به : اي رابطة تركيبية  
ترتبط القيم الحيوية او الروحية بالقيم المادية ؟ وهاتان الكلمتان  
الأخيرتان ، ألا تتناقضان معًا ما دامت المادية شيئاً منحطًا ؟ كان  
القديسون يعتبرون ان الفضيلة هي غاية نفسها . واذا ما أملوا  
في مكافأة ، فقد كانوا يتخيّلونها من مرتبة روحية ، كالفضيلة  
نفسها . ويمكن عند الحاجة التصور بأن الحكم والبطل يزعمان  
انها يرشدان سائر البشر ويلقيان منهم التشريف : لكن لا ان  
يطالبوا بأن تكون اجورها أعلى من اجرورهم . بيد ان الاخلاق  
البورجوازية تربط بشكل غامض ، من خلال فكرة  
« الاستحقاق » ، القيمة بالمتعة . ولا يتردد شيلر عن التصريح:  
« إن قيم اللذة كالأشياء او العلاقات التي تمثلها يجب ان تكون  
اذن موزعة بين البشر ليس حسب « العدل » بل بحيث يستطيع  
البشر الزعم بأنهم على تناسب مع قيمة حياتهم . وكل توزيع  
« عادل » يقيم اللذة المتحققة او المائلة الى التحقق سيكون ظلاماً  
صارخاً تجاه الذين يمثلون القيم العليا للحياة » .

نادرًا ما تتخذ المطالبة بالثروات المادية باسم فضائل لا مادية  
وجهاً كلياً بمثل هذه السذاجة . انهم يفضلون الزعم مثلًا بأن  
الثروة ، وآوقات الفراغ ، والحريريات البورجوازية ، ضرورية

لفتح الفضائل المتفوقة ، والصفات الرفيعة : كان لا بد من وطءه الهنود كي تكون يدا كاميلا الجميلة بمثل هذا الكمال . لكن هذه الجميلة خطيرة . فما إن يبدأ بإدخال الماديه في نظام ما ، حتى يصبح بسرعة من الصعب حسابها . وإذا كانت الاستحقاقات التي تتبع بها النخبة مرتبطة بالشروط التجريبية لوجودها ، أفلأ يمكننا اذن الافتراض بأن جميع البشر سيكونون قادرين ، اذا ما تحقق لهم المساواة في التشجيع ، على الارتفاع الى الذرا نفسها ؟ إننا نرى الى اين يمكن ان يجرنا مثل هذا الفرض .

ان اكثر الحجج جدية هي التي يشير اليها ياسبرز . إن بقاء « نبالة للانسانية » ، وطلبات المتعالي ، تقتضي الحفاظ على مجتمع متسلسل المراتب ، وبالتالي متضمناً لا تساويات مادية . فإذا لم يكن للنخبة قوة اقتصادية كافية للإشراف على الجماعة ، فإن هذه الاخيره ستتصبح جاهيرية . ان النفس النبيلة لا تطالب اذن مباشرة بزايا تجريبية : أنها تريد فقط ان يتخلد الوضع الذي ينحها المزايا ، من اجل صالح الجميع الروحي .

إن النظام منسجم للغاية : إن له انسجام الكلام المكرر بلافائدة . والبديهية التي يقوم عليها لا تقل تعسفًا عن فعل عنف : انهم يعلنون ان الجماهير محرومة من الجوهر ، ثم يتلو كل الباقي . لكن بمَ تعرف الفنى الاونطولوجي لمجموعة او لفرد ؟ ان الجوهر لا يخص العالم التجربى ، ولا يتجلى فيه إلا بإشارات . والحال ان الاشارة الوحيدة التي تيز المختار هي الامتياز : انا

من خلال الامتيازات تتعرف النخبة نفسها و تؤكد ذاتها و تنفصل عن بعضها البعض .

إن الحيلة كلها تكمن في الجعل من الامتياز ظاهرةً لقيمة يمنح  
حضورهـا صاحب الامتياز الحق في الامتياز : لا بد لهـ من  
السيطرة على قوة اقتصادية للدفاع عن الخير الذي يتجسد فيهـ  
والذـي تكون قوتهـ اشارتهـ . وبتعبير آخر ، إن المختار يستحقـ  
قيم اللذـة لكونهـ يملـكـها . والاستنتاج منطـقيـ ما دامـ المالـكونـ  
همـ الذينـ وضعـوا سـلمـ الاستـحقـاقـاتـ لإـضـفـاءـ الصـبـغـةـ الشـرـعـيةـ عـلـىـ  
مـتـلكـاتـهـمـ . انـ العـقـيـدـةـ الـبـورـجـواـزـيةـ ،ـ المـتـسـتـرـةـ بـكـثـافـةـ اـنـظـمـةـ  
وـاسـعـةـ ،ـ تـيلـخـصـ بـهـذـهـ الـبـدـيـعـةـ السـازـجـةـ :ـ الـأـمـتـيـازـ يـخـصـ صـاحـبـ  
الـأـمـتـيـازـ .

إن واحداً من أشرس أعداء الشيوعية ، غيردو بيوفيني ، يؤكد وهو يظهر ضرورة «الغرب الباردة» هذه الاستنتاجات بدقة : انه يعترف ان التبريرات التي اقترحها ادب المعادي للشيوعية الذي لا يمكن احصاؤه لا طائل تحتها : «إن معظم هذه الحجج ترکنا محتررين وتتكشف – اذا ما تجاوزنا انضواء ذا طابع علی – عن انها قليلة الوضوح ، سطحية ومؤقتة ، تماماً او تقريباً مثل الحجج التي اطلقها ضدنا الخصم . انها تصوب الى أعلى ما ينبغي او الى أدنى ما ينبغي ... وسألتك جانباً الحجج النابعة من المثالية ب مختلف أشكالها والتي تتبعج بأولية الفكر وتفوقه وبالفكر الذي يصنع التاريخ ، وهي حجج قد سقطت من الآن فصاعداً في الابتدال . كما أنه لا جدوى من التوسع في

الحجج الوطنية . . . لكن ثمة حجة عزيزة على المثقفين تغذى  
بمحتواها آلاف الاعمال والمؤلفات . انها تتناول أكاذيب العالم  
الشيوعي ، واحتقاره الحقيقة . . . انا نعاني جميعاً على درجات  
 مختلفة نفس أزمة الحقيقة والروح . وما من احد يستطيع ان  
 يقطع قطعاً صريحاً » . ويستنتج بيوفيني : « ان البورجوازية ،  
 في بلادنا ، قليلة الاقتناع ، ولها القليل من الأسباب القيمة للدفاع  
 عن نفسها ، مـا عدا غريرة البقاء وعزـم اعضـائـها على متابـعة  
 القتـال ، بـجهـازـين بـقـيمـ يـحملـونـهاـ فيـ انـفـسـهمـ لمـجرـدـ كـوـنـهـمـ  
 يعيشـونـ<sup>(١)</sup> » .

---

١ - « الحرب الباردة » ، « الطاولة المستديرة » ، آب ١٩٥٣ .

# حَيَاةُ الْمُخْتَارِينَ

ما دام تفوق صاحب الامتياز هو التبرير النهائي للنظام الذي يشجعه ، فيجب ان ندرس عن قرب أكثر هذا الوجه الرفيع للإنسان . لقد ابعد المختارون عن عالمهم الروحي سائر الإنسانية ، وها هم بين بعضهم البعض : فأي معجزة سيصنعون من أنفسهم ؟

يتبيّن لنا مما سبق انه يجب ألا نبحث في العمل عن « شيفرة » وجودهم . والواقع ان الأعضاء الفعالين للبورجوازية يتبعون في هذا العالم التجاري غايات يتبنّونها بقوّة . ويضفي واضعو عقائدها بشكل صوفي على الدفاع عن حضارة القيم أهمية موضوعية : ان البشر الذين يخوضون هذه المعركة يتتجاوزون أنفسهم بأصالة نحو وقائع متعلالية . بيد اننا رأينا ان الصراع اليوم سلي اكثرا منه فاتحاً وان اخلاق البورجوازية بالتالي تميل نحو المذهب الصوفي : إن رؤيتها للعالم وبسيكولوجيتها القائلة بالوجود التلقائي يتّجهان في هذا الاتجاه .

إن الفكر البورجوازي يبرر المذهب الصوفي بالفلسفة المأساوية التاريخية . وغالباً ما يتفاوت هذا التشاوُم بتفاوت كوني : إن التاريخ مدان ، لكن العالم طيب بشكل عام . ويسمح التراجع الجمالي على كل حال باعتباره طيباً . كان نيتشه يعظ بمحب القدر ، وكان يعلم انه يجب ان « نقول نعم للحياة ». ويستسلم الذين جاؤوا بعده ، والذين يحتلون خير الأماكن في هذا العالم ، الى القبول به بشجاعة : فمونتلان مثلًا لم يكف طوال حياته عن اعلان : « كل شيء خير ». ولقد كتب ذلك عام ١٩٢٥ : « أجل ، إن الجميع على حق » دوماً . المغربي والحاكم الذي يرشه بالرشاش . الصياد والطريدة . القانون والخارج على القانون . وانا عندما اكتب هذا ببرود دم . وانا لو كنت ألعنه في حرارة الاشتهاز ». (« عند منابع الرغبة ») . ويكرر هذا في « دفاتره » عام ١٩٣٨ : « بأي روح نستطيع ، نحن السعداء ، ان نتحمل بؤس العالم ؟ كما نتحمل ان يكون الظلم في نيويورك في حين ان الشمس مشرقة في باريس » . وفي ١٩٥١ ، كان يلفظ الكلمات التالية : « ماذا فعلت منذ أربعين سنة سوى القبول ؟ القبول بالآخرين ، القبول بنفسي » القبول بالظروف : القبول مع الموافقة ... والآن ، اني أعيش في عالم كل شيء موسوم فيه بخاتم مثلث ، خاتم الجنون والدلتاء والفظاعة . ومع ذلك ، فإن هذا الانتهاء العالمي يجعلني أرتعش اليوم من تلك العبارة التي كانت تثير انفعالي بشكل غامض في سر عامي العشرين ... : ( رغم تعاساتي ، فإن سني المتقدمة

وعلمة روحية تجعلاني أجد ان كل شيء خير<sup>(١)</sup> .

كل شيء خير اذا كانت روحنا عظيمة بما فيه الكفاية لتحمل  
بؤس الغير وامتيازاتنا الخاصة . ان مقارنة مونترلان تقترح  
بشكل خفي ان قدر البشر يشبه الدورات الطبيعية الكبرى : سيكون  
العاطل عن العمل مليونيراً بدوره غداً ويصبح مونترلان عامل  
منجم . واذا كان الدولاب لا يدور بسرعة كافية ، فإن العديد  
من الحكام يعطوننا بتعادل قيمة كل شيء ولا شيء : ان غياب  
الله يعادى حضوره ، وعدم الوعي يرجع الى امتلاء الكائن ،  
وبؤس الإنسان يصنع عظمته ، وبالتجدد نصل الى الفن الحقيقي .  
والمنهج الذي يستعمله اليمين لتشويش الخرائط وايقاف التاريخ  
هو ديككتيك مشوه ، تتوحد فيه القضية ونقضها مباشرة  
دون ان يتم تجاوزها المشترك نحو تركيب فوقى . فليس على العبد  
ان يصبح سيداً : انه سيد من الآن ، او إن السيد يؤكّد ذلك  
على الأقل . ويمكن لفلسفته ان تأخذ عدة وجوه أخرى ايضاً ،  
إذن موقف الرضا هذا الذي ينبع به مونترلان منشور انتشاراً  
كبيراً بين اصحاب الامتيازات سواء أكان قائماً على هذه  
الطريقة او تلك - الرواقية ، والصوفية ، والطبيعية . وهو  
الموقف الذي يثنى عليه بانفو في « مدحه للرضا » : « إن

١ - استشهاد عن سوفوكل ، « اوديب في كولونا ». لكن اوديب حين  
لفظ هذه العبارة ، كان بائساً ، أعمى ، مرهقاً بالسنين والتعاسات ، وهو يظهر  
فيها فعلاً عظمة روحه : انها تتخد معنى خالفاً تماماً على لسان شاب او  
شيخ برجوازي حسن التجهيز .

الرضا هو نقىض الفتح » («الطاولة المستديرة» ، ايار ١٩٥٣). والانسان الراضي « لا يستطيع ان يسمح بأن يرتبط بأحد ... انه يرفض ان ينتمي الى احد » ، ولو كان نفسه ... انه لا يسعى الى تحقيق اي عمل ، ولا يناضل من اجل اي قضية ، ولا يقترب اي قاعدة . ان له الأبدية لأنه يعيش من الآن في الأبدية تعسفاً . انه لا يخشى الموت ، لأنه ميت من الآن . ولأنه ميت من الآن ، ولأنه يعيش من الآن في الأبدية ، فإن هذا الانسان يستطيع دون تأنيب ضمير ودون حساب ان يأخذ التاريخ على عاتقه . انه لا يأخذ على عاتقه كعبه سيدخلص منه مكسباً ، او كفتح سيخرج منه اعظم قوة ، لكن كبداهة لا يستطيع الا ان يلحظها ... إن انسان الرضا سيكون اذن صديق الجميع وخدامهم ... ان حبه ووفاه عالميان » .

نحن نرى في هذا النص كيف ان فكرتي الرضا وهدوء النفس مرتبطة ارتباطاً وثيقاً : فالقصد عدم اتخاذ موقف ، عدم فعل شيء . ان هذه الطريقة في تقبل التاريخ بالاقتصار على ملاحظته هي تقريراً الطريقة التي ينادي بها ياسبرز . انه يتم بالرفض تحت شكله المثلث ، الانتحار والصوفية والسخرية : وليس بشكل عمل ثوري . وهو انما يؤكّد بشكل اساسي على الوفاء . ان الوفاء يعني إلقاء المرساة في الماضي وتحمل نهائية موقفنا الراهن ، كما ينحنا نفسيه . ان الحكمة البورجوازية ، المتلونة بالسخرية ، والكآبة ، او المنورة بتصوف ، تقترح بشكل عام جداً هذا الشعار : اقبل .

ترى هل تستبعد العمل كلياً ؟ ان المثقفين اليمينيين ليسوا متفقين جائعاً حول هذه النقطة . ولقد ناقشها سابقاً كلود ايلسن وكلود مورياك طويلاً في « حرية الفكر » . ومنذ عهد أقرب جاك لوران وتيريري مولنديه . ان ايلسن ولوaran متصوفان عنيدان : فأبسط عمل هو تلطخ ، وسيكفي لتكدير الآية الصافية التي هي ان يكونوا نفسيهما . ويقبل كلود مورياك بأنه لا بد من العمل احياناً للحفاظ على القيم التي تتجاوز العمل . ويقدر تيريري مولنديه ان بعض المبادئ الخالدة يجب ان يدافع عنها فعلياً . وما هو مؤكّد هو ان الفرد يظهر لهم جائعاً على كل حال وكأنه شيء آخر غير افعاله ، وهذه الافعال لا تحدها : إن حقيقته في مكان آخر .

وبالفعل ، إن القيمة التي تميز انسان النخبة ليست شيئاً يكتسب : إن النبل ، سواء أكان حيوياً أو روحيأ ، هو نعمة فطرية . وكيف يمكن لمشروع ما ان يثير جدياً اهتمام فرد ذكي ، اذا كان يعرف انه حبيس في وجوده الذاتي ؟ فهو ليس له من علاقة اصيلة الا مع أنواع الخاصة : وكل غاية خارجية تظل غريبة عنه . واما ما تابع غاية ، فليس ذلك لأنه مدفوع منها موضوعياً : انما لنزوة ذاتية . إن النقد الذي يوجهه اعداء الشيوعية الى الماركسية قائم كله ، كما رأينا ، على ذلك التفكير الجذري للذات وللغایاتها . والمشاريع التي ترعم انها ممزورة ليست الا قناعاً مقاصداً ثانية . وبديهي ان هذا التعليل إسقاطي : فالعمل ليس ترفاً إضافياً ولعبة مجانية الا بالنسبة للبورجوazi

الذى يكون وضعه مؤمناً بشكل مريح والذى يتقوّع جوهرياً في الأنانية . وقد عبر دريو ببلاغة مبالغ فيها في « البقية في المثلث » عن هذه اللامبالاة تجاه محتوى الالتزام : « لمَ لا نغير رأيتنا ؟ لمَ لا نفضل الأحمر على الأبيض ؟ فهكذا يسير الحب . اننا نريد جديداً . وهم يقدمونه لنا ، فلنأخذه .

« الجديد ، الجديد . لزم القنابل ! » .

وبالفعل ، إن « جيل » ، بل دريو ، يختار لنفسه عقيدة كما يختار قيضاً من لدى شارفيه . انه يميل في البداية إلى الشيوعية . ثم يشمئز منها ويصبح فاشياً . ويصرح رامون فرنانديز ، بعد ان ينعدم انتفافه مماثلة ، في الزمن نفسه : « اني لا احب الا القطر التي ترحل » . مع من كان يسافر ؟ ما كانت وجهة القطار ؟ هذا لا يهمه كثيراً . واذا كان المرء يعمل ، فهذا كي يعطي نفسه ارضاء ذاتياً : شعوراً بالجلدة ، او بالحركة ، او بالشجاعة . ومن سينتصور انه يصوب الى هدف خارج عن ذاته مخدوع . هذا ما يؤكده مونترلان في « الخدمة الالتجافية » : « ستقول لي انه ليست هناك قضية تستحق ان نموت من أجلها . هذا محتمل جداً . لكن ليس من أجل هذه القضية نتألم ونموت . بل من أجل الفكرة التي يقدمها لنا هذا الألم وهذا الموت عن انفسنا ... يجب ان تكون عابشاً ، يا صديقي ، لكن يجب الا تكون مخدوعاً . فلا رحمة للمخدوعين » .

ويعظ مونترلان من جديد بهذه الحكمـة المكيافيلية في « انقلاب حزيران » : « ليس لشخص الخصم اذن وللأفكار التي

يعد مثلاً لها أي أهمية ». « إن القتال دون ايمان ، هو الصيغة التي ننتهي إليها حتماً اذا أردنا الحفاظ على الفكرة الوحيدة عن الانسان التي يمكن قبولها : فكرة انه البطل والحاكم في آن واحد معاً » .

وحين قال نيميه باختصار في مقابلة له : « كلا ، لا اريد ان اكون ميليشياً : فالازرق لا يناسبني »، كان يتابع هذا التقليل. ان الخفة المصطنعة لنكتته تعني انه يرفض كل حقيقة للعالم الخارجي ليخص بها نفسه وحدها . ويسيطر شاردون في الاتجاه نفسه حين يكتب في « رسائل الى روبيه نيميه » : « آراؤنا تعنى اننا خلقنا هكذا . هذا كل شيء ! ... »

« ... ابني اعتبر آرائي الخاصة وآراء الآخرين صبيانية ، هذا ما قادتني اليه دراستي . وآراء الفرنسي السياسية ، في الوقت الراهن ، هي آراء امرأة عصبية . وانا اعرف من أين تأتي افكار المرأة العصبية . لا احب هذا » .

ومن الاشياء التي يتجلی فيها احتقان الغايات الموضعية ميتولوجيا الزعيم ، كما يتصوره اليمين: فليس المهم عمله بل وجهه . ان قصائد دريو عن « الدكتاتور » ، وروايته « الرجل على الججاد » ، لها دلالتها . إن بطل « الرجل على الججاد » يصبح دكتاتوراً بالصدفة ، دون اي دافع . فهو ليس من برنامج محدد : إنه يخترع لنفسه قضية ، لأنه بحاجة الى ذريعة، ما دام دكتاتوراً ، لإظهار نفسه . لكنه في الواقع لامبال تجاه جميع الأحزاب ، مقطوع عن بلاده وعن العالم اجمع . والدكتاتورية لا تفيده في

النهاية الا في الكشف عن نيل روحه . و اذا كان الامير محدود الذكاء فإنه يقتصر على ممارسة الحكم من اجل الحكم . اما الزعيم فإنه يجعل منه ، اذا كان جيد النوعية ، تطلعًا الى اساليب الفضائل . ويصبح اعظم الجميع لأنه اكثـر افـصـاـلا . انه يختلف عن الآخرين اكثـر من اي شخص آخر لأنـه ليس له اي عـدـيـل : وعلاوة على ذلك انه كائن على ما هو . ان انسان النخبة فيه يحقق ارفع مستوى من الفردية . ومن هنا على وجه التحديد تأتي سلطته : إن انصاره لا يطيعونه لأنـهم يعتبرون الفضـلـات الموضعـية التي يتبعـها غـايـاتـهم ، بل لأنـهم يـتـحـمـلـون سـلـطةـ شخصـيـته . وهو يطالب ، مثلـه مثلـ المعلم ، ولـلـأـسـبـابـ نفسها ، بـانـضـوـاءـ غيرـ مشروـطـ باـسـمـ نـعـمـةـ ما تـسـكـنـهـ . ولـقـدـ كانـ ماـكـسـ وـيـبرـ يـقـرـحـ ، قبلـ الحـربـ الـاخـيـرـةـ ، صـورـةـ لـلـزعـيمـ .

يلخصـهاـ آـرـونـ<sup>(1)</sup>ـ علىـ النـحوـ التـالـيـ : «ـ اـنـهـ ، بـوقـفـهـ ذـفـسـهـ عـلـىـ مـهـمـتـهـ ، وـبـجـاسـتـهـ وـبـصـيرـتـهـ مـعـاـ ، سـيـدـ قـوـاتـهـ ، وـهـوـ يـنـتـصـرـ بـسـلـطـةـ شـخـصـيـتـهـ ، لـاـ بـالـتـمـلـقـ اوـ الـدـيـمـاغـوـجـيـةـ »ـ اـنـهـ شـبـيهـ بـالـنـبـيـ الـيـهـوـدـيـ «ـ الـذـيـ يـحـلـ الشـعـبـ وـيـفـرـضـ نـفـسـهـ كـزـعـيمـ لـأـنـهـ يـتـمـتـعـ بـفـضـائـلـ فـائـقـةـ الـطـبـيـعـةـ »ـ لـقـدـ فـقـدـتـ الـاـسـطـورـةـ الـكـثـيرـ مـنـ رـونـقـهاـ مـنـذـ مـوـتـ مـوـسـلـيـنـيـ وـهـتـارـ . لـكـنـهـاـ لـاـ تـزالـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاةـ . فـنـ المـذـهـلـ مـثـلـاـ انـ مـالـرـوـ ، اـثـنـاءـ حـدـيـثـهـ فيـ «ـ بـارـيـ

1 - رـيـونـ آـرـونـ : «ـ عـلـمـ الـاجـتـاعـ الـالـمـانـيـ »ـ . لـتـعـدـ بـأنـ آـرـونـ لـاـ يـتـبـنىـ مـطـلـقاـ هـذـاـ الـوـصـفـ .

ماتش » عن الجنرال ديفغول ، لم تصدر عنه كلمة واحدة تشير الى ان البرنامج او المشروع الديغولي قد اثار اهتمامه قط ، لقد صرخ فقط ان عظمة الرجل تغريه .

ان معنى ومدى هذا الموقف الذاتي النزعة لا يتجلّيان بوضوح في اي مكان كما يتجلّيان في الدراسة<sup>(١)</sup> التي يطالب فيها تييري مولنويه للانسان « بالحق في ان يخطئ ». ويعلن : « الحق في الخطأ هو الحق الأساسي للائدان الإنساني الذي يستعمل (أي الحق) على سائر الحقوق الأخرى». وصحيح أن الاعتراف بهذا الحق يستعمل بالضرورة على مفهوم شمولي عن الانسان : المفهوم الذي يرجعه الى وجوده الفطري يسمح بمحاباة المطالب الانانية للبورجوازي. إن الفشل، بالنسبة لإنسان يؤمن بأهمية غاياته، هو تعاسة مطلقة: ويستحيل انقاذه، الا بإصلاحه بشكل موضوعي. ولا شك في ان تييري مولنويه سيتردد في ابقاء محول مفاتيح السكك الحديدية في منصبه اذا تسبب في وقوع حادث خطير ، باسم الحق في الخطأ : فأمره قد افتضحك موضوعياً ، حق ولو وجدت له أعذار . إن « الحق في الخطأ » يقتضي اذن لا توضع الأخلاق في هذا العالم التجاريي ، اذنا على صعيد متعال ، أي ذاتي في الحقيقة . ان الخير موجود في سوء ما : ونوعية الروح التي تسعى إليه لا تتعلق بنجاحها بل بخلوص نيتها . ان الأخلاق النية تتوافق مع النزعة الذاتية البورجوازية . لكنها تناقض فكرة حق المحاولة : لم تستطع الى غایيات تجريبية اذا لم يكن

---

١ - « وجه ميدوزا الشيوعية » .

لهذه الغايات في ذاتها أي معنى؟ إن التأمل هو العلاقة الوحيدة بالتعالي التي يمكن بعدئذ ان نتصورها . واكثر ما يخرج في هذه القضية هو ان « الأخطاء » التي يدافع عنها مولنيه هي من نوع عيني جداً : إنها اغلالطات سياسية قامرت بمحيبات انسانية . فهل يجب ان نقبل بأن القتل لا يرتبط بالأخلاق؟ من الجائز ، اذا كان الوجود التجريبي للكائنات الانسانية لا أهمية له . لكن القبول عندئذ بالجرائم التي ترتكب ضدها ، ليس حتى « خطأ ». اما يتوجب علينا بالأحرى ان نتبع « ساد » ونعلن ان لنا الإذن في وطء هذه الكائنات تحت الأقدام .

غير ان النزعة الذاتية البورجوازية لا تأخذ هذا الشكل المتطرف . إن البورجوازي مندمج بالنظام الذي يدافع عنه ، وحتى لو قدر في النهاية ان عمله لا يتعلق الا بذاته ، فإنما ذلك من خلال العلاقات مع الغير . ولما كان لا تصدر عنه أفعال ، فالمطلوب منه سلوك : اي قانون سيتبع في سلوكه ؟

ان تسلسل المراتب الاجتماعي يقدم جواباً على هذا السؤال . فالعلاقات التي يقيمها الأفراد فيما بينهم ، في العالم البورجوازي ، ليست مباشرة مطلقاً : فكل واحد يتمعرفه الآخرون من خلال الوظيفة التي يؤديها والتي تمنحه قيمة . ويتم هذا التعرف بطقوس واحتفالات ، وله طابع قانوني . ان الأعراف والقوانين تحدد علاقات الأهل بالأطفال ، والزوج بالمرأة ، والرئيس بمرؤوسه ، وبالعكس . ويذكر التهذيب ' وفن الحياة البورجوازيين بلا انقطاع بأن عليهم ان يتبادلو الاتصال من

خلال المجتمع لا غير . ان الاحترام الذي يتبادله الأقران يظهر احترامهم للشكل او للقانون الذي يتجسد في كل واحد منهم : إن جنرالين يتبادلان التحية اما يحييان الجيش . وبعقدر ما تتجاوز الظروف الفريدة تنبؤات الدستور القائم ، تعرف الكائنات التي من نوعية متفوقة نفسها من اختراعها بالغرizia سلوكاً مطابقاً : وهذه الغرizia هي حس الشرف . يصرح شبنغлер : « الشرف قضية دم ، لا قضية ادراك . ان المرء لا يفكر ، والا يكون قد فقد شرفه » ويرتدي الشرف عدة وجوه : فهو ، عند المنحط ، وفاء واخلاص ، وبين الأقران صدق ، والفضيلة الاساسية عند المعلم العدل . ونحن نعرف بما فيه الكفاية الميتولوجيات التي تتكشف فيها هذه الاخلاق . كرامة الوضيعين البسيطة ، نكران النساء والخدم الصالحين لأنفسهم ، الانضباط المرضي به ، الاعباء المحمولة ، الابن والأب ، الجندي والرئيس ، الزواج ، البيت ، الاسرة . وثمة أدب لا يمحى من هنري بوردو الى كلوديل يتغنى بالمؤسسات البورجوازية وبالفضائل السامية التي تفتحها .

والمزاج ان هذه الاساطير باتت قديمة قليلاً اليوم . فالمراتب المتسلسلة القديمة مهترة ، ونظام العالم غير متين ، والشرف يذوي : وهذا موضوع لم راث عديدة . ان المختار يرتد ، تجاه الجاهير التي لا يغير وجهها شيء لا انساني ، الى هذيان الذات ، ويستنتاج بطل « الفارس الازرق<sup>(1)</sup> » : « كل ما هو انساني غريب

---

1 - رواية للكاتب الفرنسي المعاصر روبيه نيميه . « المترجم » .

عني » . وهذا منطقى مَا دام اليمين لا يقبل بين البشر العلاقات فيها توسط : فما إن تزول المؤسسة ، وما إن ينعدم التوسط ، حتى لا تبقى حاضرة الا ذرات منعزلة . ان هنري بوردو يقود على خط مستقيم الى نيميه .

ان الادب اليميني الفتى ، الريبي والقليل الفكر ، يحبس نفسه اذن في النزعة الذاتية . ولا وجود لأى اتصال واقعى بين الكائنات الانسانية . فالحب مثلاً ليس اتحاداً بل عزلة : إن مشالية بسيكولوجية مستوحاة من بروست ، وتفسيراً معيناً للتحليل النفسي ، يسمحان باعتبار الحب ظاهرة قائمة في ذاتها : انه نموج « الهلوسة الكاذبة » بالذات . والموضوع ليس الا ذريعة . والمحب وحيداً مع لذته ، مع شهوته ، واساطيره ، وعقده ، وهدياته . وعلى هذا فإن سلوكه تجاه الكائن المحبوب لا يخص أحداً غيره : وهكذا فإن كوستالس ، في « الفتيات<sup>(١)</sup> » ، ومن خلال صولانج دانديو والهموم والألاهي الصغيرة التي تسبيبها له ، لم تكن له علاقة قط الا بذاته : انه يطابق حركاته مع الوجه الذي يتمنى ان يكونه لنفسه . ويعتقد هذا النظام الى سائر العلاقات الانسانية . فالفضيلة المجلة ، تجاه الادنياء مثلاً ، هي الكرم . لكن الفعل الكريم كما يتصوره اليمين ليس جواباً على نداءات من الخارج ، وليس مدفوعاً بمحاجات الغير : انه ذريعة للإنسان المتفوق لإظهار « نبله

---

١ - رواية للكاتب الفرنسي المعاصر هنري دي مونتلان . (المترجم) .

الحيوي » ، أو لإثبات تجرده تجاه ثروات هذا العالم كما لدى (ملك نابولي) لـكـلـوـدـيـلـ. لكن المختار يستطيع أيضاً أن يرفض الكرم عن زوجة منه : سوف يتلهى بإظهار لامبالاته تجاه الغير، أو بسيادة تعسفة الحر، أو برفضه الفضائل المتواضع عليها. وعلى كل حال ، إن سلوكه ، باعتباره قائماً على لا شيء ، مجاني . وهذا ما يعنيه أيضاً لدى مونتـلـانـ مثلـ دورـ فـراـشـ القـزـ : إن القوي يستطيع أن يلعب مع الضعفاء كل الألعاب ، فهو وحده السيد .

سيكون الهم الوحيد للمختار أذن عبادة أنتا : أي عبادة الاختلافات . إن النخبة المذكورة تؤكد بفخر رجلتها ، انسجاماً مع ميتولوجيا جنسية معروفة جيداً<sup>(١)</sup> . إن معظم المختارين يدعون بتغيير عرقى يرون فيه تفوقاً : انهم يفكرون ويعيشون في اهاب بريتونى أو بحرى متقطنى ، أو ابن بحار ، أو سليل الشجعان ، أو سليل البورجوaziين الكبار ، أو طبقة الفلاحين القديمة في فرنسا . انهم يوحدون ذواتهم بوظيفتهم الاجتماعية : ففيهم تتجسد الأم ، أو الجد ، أو الزوج . ويصفون على مهنتهم ، ما أمكنهم ، طابع دعوة مقدساً . وإذا كانوا يتمنون ان يفرقوا في فردتهم – أو إذا كانت هذه هي حيلتهم الوحيدة – فإنهم يتحدون في إيجاد ما يسمى شخصية لأنفسهم :

١ - وضع النساء أكثر تعقيداً لأن الاختلاف الجنسي صدمن نقص .  
ومن لا يتبيننه ، على كل الاحوال ، بـكبـرـيـاهـ .

انهم يتبنون طابعاً ، ويحملون من أنفسهم في هذا الميدان أو ذاك هواة ، أو خبراء ، أو انصاراً . أما في طريقة لبسهم ، واسلوب تأثير منازلهم – وحتى اختيار الأشياء التي سيحملونها معهم الى قبورهم – فإنهم يهتمون قبل كل شيء بتفرد وجههم . وبالطبع ، إن سلوكهم ايضاً يجب ان يكون فريداً . ان احد أبطال مونتريال يبتعد فجأة عن المرأة التي كان يعانقها لأن الكثير من الأزواج يكررون في تلك اللحظة نفسماً ذلك العناد نفسه . وهذا أيضاً تكون الغلبة للساب : المقصود هو عدم إشباه الآخرين . إن الأخلاق الإيجابية الوحيدة ، في مجتمع منحط لم يعد فيه للدعوة والشرف حظوة كبيرة ، تكون على أساس جمالي . إن المأثرة تقوم مقام العمل . والواقع ان المأثرة هي الفعل وقد أفرغ من مضمونه واعتبر موضوعاً للتأمل عن بعد : وهذا التراجع إنما يكتسب عن طريق النزعة الجمالية على وجه التحديد . لكن القيمة الموجلة أكثر من غيرها في هذا الميدان هي الأناقة : والأناقة تتحدد ببدأ استبعاد ونفي . وبجمل القول ، إن القاعدة الوحيدة هي الصدم والمجاجة : أي ان يثبت المرء مرة أخرى انه مختلف . ان قانوناً شكلياً على هذا النحو لا يستطيع ان يولد أي امتلاء . ان اختار ، المقطوع عن أقرانه وعن كل غاية واقعية ، يعيش حياة لا مضمون لها : انه لا يفعل شيئاً ، ولا سيطرة له على شيء . وهو ليس شيئاً في نظر من يقيسه بمعايير موضوعية .

لكنه وجد وسيلة لإبطال هذا الحكم : انه يضفي على

حياته ، التي تفرغت موضوعياً ، كثافة يحملها حياة داخلية خالصة . لقد حللت الحياة الداخلية محل البطولة : هذا هو مقياس الانقلاب الذي قام به اليمين بعد المجزية النازية . إن النخبة المأساوية تعرف ، وقد تتفهمها التاريخ ، ان من دواعي الخدر ان تواجه ذاتها سريراً بدل ان تواجه خصماً بشكل مكشوف . إن نبل الدم يتدون في الدم المسفوح ، ونبيل الروح يختبئ في طوابا الروح . ولقد رسمت فلسفات المتعالي عن عمد للساح للفرد بالاتجاء الى وجوده الفطري . ومن يؤمن صدقأ بالمعالي يتمتعن ايمانه بالقلق . كان القديسون يعلمون أن من الصعب تمييز صوت الله من صوت الشيطان ، والنعمة من الكبرباء : ما من احد من الدين اعتبروا قديسين قد تبجح قط بأنه قدس ، فقد كان هذا الادعاء وحده يكفي للقضاء على فضائله . واذا كان أبوطانا المعاصرون اقل وساساً ، فهذا لأن المتعالي ليس الا شبحاً يفيدهم كأدأة غش بين الذات والذات . لقد استخرجو المتعالي من انفسهم ، بإضافتهم عليه خصوصياتهم الحميدة : انهم يجدون في انفسهم اذن بداعمة حضوره ، وهي تكفي لتبريرهم . وفي الحقيقة ، إن العمل التجربى وحده ، والتجاوز العملى لإنسان نحو غايات ارضية ، ينتزعانه من وجوده الفطري ويحددانه موضوعياً : لكن المختار يحتقر ان يحازف بنفسه على الارض ، وان يحدد نفسه ويقيسها عليها . انه يفضل ان يؤكد ، وهو القوي بسلطته وحدها ، انه في صمت روحه وعزلتها يعرف قيمة، واستحقاقه ، ومساهمته في الالإنساني الذي يقسم الانسان . وما من نقض يستطيع ان يبلغ هذه البداهة الداخلية . ان

الحياة الثقافية نفسها تفلت منه ما دامت الحقيقة تسلم نفسها في تجربة فريدة ، لا يمكن وصفها في اغلب الاحيان ، ولا يمكن تأديتها ب تمامها أبداً . ان انسان اليمين يلتتجىء عن طواعية الى قوة حجمه الذاتي التي لا يمكن دحضها كالملايين : لا بد انه يوجد شيء ما لدى اليهود ما دمت لا استطيع احتاهم . ان كل انسان يستطيع ، دون ان يقدم اي برهان موضوعي ، ان يحسب نفسه اعظم البشر بصيرة ، وفطنة ، وعمقاً : إن موافقته الخاصة تكفيه<sup>(١)</sup> . اما الصفات الاخلاقية والجمالية : النبل ، الرقة ، العظمة ، الاصلالة ، فمن السهل اكثير ايضا المطالبة بها . فما من موضوع مطروح على بساط البحث . والذات تهم فقط بحالاتها النفسية : انها تقارن بينها ، وتركمها ، وتتأملها ، وتتوسطها بشكل تولد معه حالات اخرى . وفحص الضمير ، والتحليل البيكولوجي بما ذريعتان لها لتميز في نظرها الخاص ، دون مجازفة . وهذه هي اعظم مزية للحياة الداخلية : انها تترك لكل فرد رخصة تفضيل نفسه على الجميع .

١ - لا يستطيع ، بهذا الخصوص ، ان تنصح كثيراً بقراءة المقدمة التي كتبها باولز مؤلفـه الذي وقفه على غوردييف . ان باولز « يحسن » ان بين لازاريف وبولمان تشابهات عامضة ، ويقول إن الذين يحسون مثله ينتموون الى اسرة فكرية واحدة ، هي الوحيدة التي تساوي شيئاً ما . اما الآخرون فهم عيان بشكل غليظ . ترى من يستطيع اذن ان يغالطه عن حق ، ما دامت قيمة التغير تقاس بانتهاه ؟ ان الحياة الداخلية في بجموعات « المطلعين على الاسرار » تعاش بين عدة اشخاص ، دون ان تفقد ميزاتها .

بيد ان هذه الحياة المستترة تبرز الى الخارج عن طواعية في  
الاحاديث ، والرسائل ، واليوميات الذاتية ، والدراسات ،  
والروايات . فمع مر الزمن ، يتعب المرء من الصمت ، من العزلة ،  
من الفراغ ، وهنا تأتي النجدة : وهي ان يعود المرء الى هذا  
الصمت وهذه العزلة تحت شكل الادب . ان الادب هو تقريباً  
الفعالية الوحيدة التي تبدو مفصولة بما فيه الكفاية عن الواقع  
بحيث يقبل متصرف عنيد بتكريس نفسه لها .

# اللأدب

يحب على الأدب أيضاً لا يشكل عما: فلا شيء ينفر اليمين اليوم للأدب «الملتزم» . وفي هذا الميدان أيضاً ، تغيرت الأمور منذ ١٩٤٤ . كان دريو ، قبل الحرب الأخيرة واثناءها ، قد اندفع بكل قواه في الأدب السياسي . ولقد وبخ ماكسانس ، في محاضرة أللقاها أثناء الاحتلال ، كتبة ما بين الحربين بعنف على انهم وقفوا على هامش الصراع . ذلك ان المثقفين اليمينيين كانوا يعتقدون انفسهم آنذاك من جانب الفاليين : كان عصر البطولة . اما اليوم فإنهم يريدون ، وقد اشمازوا من العمل ، ادبًا يقف خارج العالم ، ادبًا يساعدهم على اخفاء الواقع ، او انكاره ، او على الاقل الهرب منه . ومن البديهي ان حياة بلا مضمون تتطلب كتاباً بلا مضمون . ان للأدب قيمة ما دام يميز الكتاب والقراء من العالمي . وكلما كان سرياً ، كان لعبه لهذا الدور ناقن . وهو يفيد النخبة ، باعتباره وقاً عليهم ، في تبرير أنفسها . فلا بد اذن ان يوجد بل سوف ينبع اهمية كبيرة : لكن

شرط الا يقول شيئاً . لقد هنئ جاك شاردون على انه عرف جيداً ، في « رسائله الى نيميه » ، كيف يتكلم عن تفاهات ، اي كيف يتكلم عن لا شيء .

وهذا ليس بسهل للغاية . ويلاحظ ماسكولو في كتابه « الشيوعية » بشأن الكاتب : « انا يتكلم عن الانسان دوماً . وقد يمكنه الا يحب الا الاشكال . انا هو الشكل الانساني دوماً الذي يرتسם في النهاية . وهذا الشكل يحمل معه كل كيس الافكار ، والقيم ، والمبادئ التي يراد الاتری فيه ... بيد انه من المستحيل الكلام عن الانسان ، اي الكلام ، دون الكلام عما يحمله الانسان . انه حامل . والفنون التشكيلية نفسها لا تقلت من هذا القانون » . الواقع ان اشرس خصوم الادب الملزمن يتركون انفسهم ينقادون اليه ما إن يجذبوا بكتاباته عمل ايجابي . ان دراسات تيريري مولنييه تدور كلها حول مسائل سياسية . و « بيت الليل » هي نموذج المسرحية الملزمة بالذات . وحين يحاول جاك لوران في « البطة الصغيرة » ان يثير عواطفنا على مصير ميليشي شاب ، فإنه يكتب رواية ذات ميل على الأقل . ومجلته التي تزعم انها غير ملزمة ، « الباريسية » ، هي ايضاً ذات ميل على حق التتعصب . وكلود ايلسن لا يسكن في برج من العاج بل في برج من الجدال في « ديماش - ماتان » . ان المرء لا ينجح في العيش حقاً منتهى هذيان الذات ، ولا ان يكتب كتاباً بدون اي مضمون .

ومن الجائز على الأقل ان يكون هذا المضمون عارياً من

المعنى بحيث يلحق بالعدم . كان اليمين الفتى الديناميكي ، قبل  
 الهزيمة النازية ، يتمنى ادب معركة لكن كان معظم الكتاب  
 الحافظين يستغلون مواضيع تسمح لهم بصف جمل دون ان  
 يقامروا بشيء : والجرد الذي قام به عمانوئيل بيرل<sup>(١)</sup> في حوالي  
 ١٩٢٧ يظل ذا قيمة حتى اليوم تقريباً . انهم يكتبون لنا  
 بإعجاب أقل من الماضي عن عذوبات الحياة البورجوازية : انهم  
 يتذكرون لهذا القطاع لروائيات ما وراء بحر المانش . وبالمقابل ،  
 لم يحدث قط ان مدحت فضائل الرواية التي يقولون عنها  
 بسيكلوجية كاتدح اليوم . لقد لاحظ بيرل : « ان البسيكلوجية  
 تعرف كيف تستبدل الحكم بأن الاشياء تتطلب جمعاً ، لا نهائياً  
 على كل حال ، بوقائع منفصلة لا يمكن لأي حكم ان يصدر عنها .  
 لقد أصبحت طريقة معينة في فضح الفكر ». ان الرواية  
 البسيكلوجي البورجوازي لا يتم بوقف ابطاله : انه يدرس  
 القلب البشري بشكل عام . وهو يدرسه في وجوده الفطري  
 الخالص . واما ما روى لنا قصة حب ، فإن الموضوع المحبوب  
 يكاد لا يوجد ، واقل منه وجوداً ايضاً العالم الذي يعيش فيه  
 العاشقان . فاما ان يشرح الحالات النفسية متوحد مهلوس ،  
 واما ان يمثل عدة مهلوسين ، كل اتصال بينهم محروم – ما دامت  
 اللغة اكذوبة – ويصف الظاهرات الغريبة التي تصدر عن  
 تعايشهم .

---

١ – « موت الفكر البورجوازي » .

إن الواقع الوحيد الذي يقرر الكاتب البورجوازي أن يأخذ له حسابه هو الحياة الداخلية . ولا يسعى ، إذا ما خرج منها ، إلا إلى المهرب من نفسه : في الماضي ، أو عبر الفضاء ، أو في اللاواقعي . إن ذكريات الطفولة تختزل في المكتبات البورجوازية مكانة الصدارة . وتشارحوها عن طواعية مواضع تأصل الجذور : المنظر الطبيعي ، البيت ، الأسلاف . إن الطفل ، اللامسؤول ، اللاجتماعي ، المنفصل ، هو النموذج الذي يود المثقف اليميني لو يخلده أبداً الحياة . إن رؤيته الساذجة للعالم تلغي المقاومات القاسية وتكشف عن روعته : كم من مرة قلدت « المولن الكبير »<sup>(١)</sup> ! وكذلك فإن الاخصائين في الغرابة إنما يقدمون شيئاً ما رائعاً : انهم يتعلقون بوصف البلدان الغريبة في سرها الذي لا يمكن نقله إلى الآخرين . وهم يظهرون الإنسان من خلال غرابة المشهد التي لا يمكن التعبير عنها بصورة بسيطة ، وعقلية السكان التي لا يمكن الدخول إليها ، وكأنه شيء آخر غير الإنسان . قصص أحلام ، ومتامرات ، وذكريات خيالية : إنما المقصود أن ننسى هذا العالم وأنفسنا<sup>(٢)</sup> .

١ - من بين الذين قدواها ، حوالي ١٩٣٨ ، روبي فرنسيس ، آخر ماكسانس ، وهو مثله فاشسي عنييد ، في « المري ذو الجميلات الثلاث ». ( والرواية من تأليف الكاتب الفرنسي آلان فورتنبيه ).

٢ - من البديهي أن المدهش هو الذي إلى اليمين ، لا الشعر ، وانه ليس من المستحيل ، بعيداً عن هنا ، أن تظهر حقيقة الإنسان من خلال ذكريات الطفولة ، وقصص الأسفار ، والحكايات الغربية .

وبديهي انه لا مجال هنا لرسم لوحة ولو قريبية للأدب البورجوازي اليوم . اننا نقتصر اذن على هذه الملاحظات القليلة . وسوف ننظر فقط عن قرب أقرب قليلاً الى الفكرتين اللتين تلعبان أكبر دور في فكرة النخبة واخلاقها : وهما فكرة الطبيعة وفكرة الموت ، المرتبطتان احداهما بالآخرى ارتباطاً وثيقاً .

# الطبيعة

كان راموز يقول : « الطبيعة هي إلى اليمين ». وما هو حقيقي هو ان الطبيعة صنم من اصنام اليمين الكبيرة : انها تظهر كنقيض للتاريخ والعمل .

إن الطبيعة ، باعتبارها ضد التاريخ ، تعطينا عن الزمن صورة دورية . ولقد رأينا ان رمز الدولاب يهدم فكرة التقدم ويشجع الدعوات الصوفية : ففي التجدد اللامحدود للفصول وللنهايات ولليالي ، تتجسد عينياً الدورة الكونية الكبرى . والتكرار الواضح لفصول الشتاء والصيف يجعل فكرة الثورة مضحكة ، ويظهر الأبدى . وقد اقام دريو ، بين الاشخاص « الحديدين » والعابدين لروايته « جيل » « وجهما جيلاً » لل فلاح الفرنسي القديم . فهذا الفلاح يساهم في صمت الارض الكبير ، لكنه ينتزع من نفسه بين الحين والحين ، لمصلحة « جيل » ، بضم عبارات قوية . ويتمتم ، مشيراً الى شجرة زان : « يوجد شيء ابدي في الانسان . ان ما تقوله هذه الشجرة سوف يقال تحت

شكل او آخر ، دوماً .

ومن بين هذه الحقائق والماهيات الثابتة التي تكشف عنها الطبيعة ، تأتي في الدرجة الاولى الطبيعة الانسانية . ففهم الانسانية عندئذ على انها نوع معطى ، وليس كنتاج لنتائجها : ان فكرة الطبيعة تناقض فكرة العمل .

وليس للعمل على تطور الانواع الطبيعية بالفعل الا تأثير ثانوي : انه يساعد ، على اقصى فرض ، على تفتح الامكانيات الكامنة في البذرة ، في البيضة ، لكنه لا يستطيع ان يخلق ولا ان يعدل . وهم سيأخذون الاذن من الطبيعة اذا ارادوا ان يؤكدوا تعدد الأعراق ، والطوائف ، ولا تساويها : ان النوع البشري سينقسم كسائر الانواع الحيوانية الى مجموعات متباينة اصلياً تنتقل صفاتها بالوراثة . والنخبة تريد ، حتى ولو جعلت من فكرة النبل فكرة روحية ، ان تفكر على كل حال بأن تفوقها فطري : يستحيل على العامي ان يكتسب هذا التفوق كما يستحيل على بذرة الشعير ان تنتج سنبلاة حنطة . ويكتفي بالمقابل ان تزرع بذرة الحنطة في ارض صالحـة لتنضج بشكل رائع : انه ليرضى صاحب الامتياز ان يتصور ان الرفاهية واوقات الفراغ التي يتمتع بها تغذى ، دون جهد من طرفه ، إغناء بطيناً وسريناً لذاته . ان الفعل لا يهم كثيراً . اثـاما المهم الكون : إن واضح العقيدة البورجوازي يسأل الطبيعة توكيـد هذه الحقيقة .

ان المحافظ لا يشبه الانسانية باعتبارها نوعاً وكل فرد انساني

بثار الأرض فحسب ، بل يشبه أيضاً المجتمعات . وغالباً ما لوحظت<sup>(١)</sup> الرفعة في المقام التي ينسبها اليمنيين للصور التي تربط الحياة بالعضوية . ويرى شبنغلر وتويني أن المجتمعات عضويات: ان مذهب التعدد ومفهوم الشكل الجوهرى المرتبط بغيره يتطلبان ذلك . والعضويات الحية وحدها تملّك فردية متميزة جذرياً عن كل فردية أخرى ، وموحدة موضوعياً . إن عقيدة اليمنين ، بربطها البشر بشكل متسلسل المراتب ، وبإخضاعهم لنظام قائم مسبقاً ، تتصورهم اذن بالضرورة من خلال علاقة الاعضاء بالمعدة ، والنحل بالخلية . انها تنكر بهذه الصور استقلال الافراد الذاتي ، وقدرتهم على تحقيق تضامن مباشر فيما بينهم ، وتنكر على الاخص الصراعات التي تقسمهم . انهم يبدون جميعاً مهتمين بقدر واحد من الاهتمام بالحفظ على الشكل الذي ينتمون اليه . والعنف يستتر تحت الصراوة العذبة لضرورة حيوية .

ان التفاؤل الطبيعي النزعة يريد نفسه اكثر عالمية ايضاً: إن الطبيعة انسجام ، كما ثبت ذلك بطيخة برثاردان دي سان - بيير . انها تتغنى لدى كلوديل بذخ الحالق . وتعلن بعظمتها ان ما هو كائن يجب ان يكون . انها تدل كل فرد على مكانه في

١ - يلاحظ ديبيدور في مقال عن غوستاف تيبون : « من الغريب ان نلاحظ ان المفكرين اليمنيين قد استعملوا دوماً لمجيد الرابطة الاجتماعية مجموعة من الصور المأخوذة من المجال البيولوجي : الاعضاء والمعدة ، الشجرة ، الخلية » .

هذه الجوقة . والنزعة القومية ، شأنها شأن غيرها ، قد تجلت من خلاها : ان الفرد لا يتم نفسيه الا بتلاؤمه مع ارضه . ويقول لنا شبنغلر ان جوهر بلد ما يتجلّى لنا في مناظره الطبيعية . وكان موريس باريس يريد ان يتغذى الشباب الفرنسيون بالمناظر الطبيعية الفرنسية : انه يرينا ستورييل وسان – فلان يكتشفان الواقع اللورياني ، على الدراجة ، على طول نهر موزيل . وفي النمسا ، وفي المانيا كان الشبان النازيون يقومون بمرح بالمحازر والنزهات في الغابة على التناوب .

ان النزعة القومية باتت لا تفيده . فحين يتزهه هيذرجر اليوم عبر الغابات ، لا يبحث عن اتصال مع بلد خاص بل مع الكينونة . لكن الكينونة اليوم هي اعظم غياب عن مكان بياتات الوجود في مكان آخر بالنسبة للمتمدين الغربي : إن هذا الأخير يبرر لامبالاته تجاه سائر البشر بادعائه انه وقف على المتعالي . انه يقنع نفسه ، وهو يحمل في كل الجهات ، بأنه يتحدد بـ « الكل » . انه يلتقط ، في صمت الاشياء ، التوكيد السعيد بذلك « الواقع » المستتر الذي وحده له قيمة .

إن هذه الصورة الهدائة للطبيعة ليست الوحيدة المقترحة : اذ يمكننا ايضاً ان نرى فيها دغلاً فوضوياً ، تتفوض فيه الامساواة فكرة العدالة ، وتشوه القوة كل حق . ان الإنسان ذئب للإنسان ، والحياة صراع ينتصر فيها الأقوياء . واما كان هذا المفهوم يخالف المفهوم السابق ، فهو في الحقيقة يؤدي على وجه الدقة الخدمات نفسها للمضطهدين : انه يسمح لهم بإلقاء مسؤولياتهم الخاصة على

عائق الطبيعة . ان اللامساواة ليست ظالمة اذا كانت معطاة . وشقاء البشر ليس جريمة اذا لم يكن السبب فيه اي شخص . والطبيعة تعارض الطوبائيين الذين يريدون تغيير مجرى العالم بقدرها الثابت . ويكتب شاردون في « رسائله الى نيميه » : « انتا لن نصل ابداً الى نهاية الظلم المجبول عليه العالم . سوف يكون المجتمع دوماً ، كالطبيعة ، سديماً من المظالم » .

وفي الحقيقة ان الطبيعة سهلة : انها تقول الكلمات التي تعلى عليها . ان الانسان لا يسمع ابداً في صوت الريح ، والبحر او نخلة تهتز ، الا صوته الخاص . ان اللورين يعلم باريس عظمة الملكية العقارية ، ذلك لأنّه اختار كما يلاحظ بيرل<sup>(١)</sup> ان يتأمل منه فقط التلال المغطاة بالكروم واسجبار الخوخ . اما الافران العالية التي تلتهب عبر السهل ، فإنه يتتجاهلها . ولقد صرّح جيونو في مقابلة قربة العهد له انه يشعر بقيمة كتاب ما بقراءاته في الهواء الطلق ، ويقول : نادرة هي الكتب التي تقاوم هذه المواجهة مع السماء والارض . وهذا يعني واقعياً ان القليل من الكتب يهم جيونو باعتبار نوع الحياة الذي اختاره لنفسه : ان النقص لا يأتي الا منه وليس من مناظر بروفانس الطبيعية . وفي الحقيقة ، إن الطبيعة تقدم للمختارين الذين يزعمون انهم لا يصدرون الا عن انفسهم دليلاً مناسباً على الغياب من مكان بإثبات الوجود في مكان آخر . انهم يبحثون فيها عن صورة حسية للتجريدات التي

---

١ - « موت الفكر البورجوازي » .

يختلقونها وحالاتهم النفسية التي لا يمكن وصفها . إنها أحد وجوه ذلك المتعالي الذي يتذرعون به لنكران البشر . يقيناً، إن من يحب البشر ليس بمحرماً عليه حب الطبيعة : لكن يحب الارتباط بشخص ينضح منها دروساً .

إن الشتاء يولد الصيف ، والصيف يولد الشتاء . والطبيعة تعادل الحياة بالموت . وعبادة ارض الاسلاف عند باريس وعبادة الاموات مرتبطةان بشكل لا ينفص : ان الأرض مقبرة واسعة . واذا كانت الطبيعة مبجلة الى هذا الحد من كتاب اليمين ، فهذا لأنها تخدمهم على الاخص في تأكيد اسبقية الموت على الحياة .

# الموت

كتب دريو في نهاية « الشهاب الغازي » : « إن المدرس لشيء متين ، انه من فولاذ ، انه شيء . ان اصطدم أخيراً بالشيء ». انه يكشف لنا هنا عن السبب العميق للسحر الذي يمارسه الموت على انسان اليمين : انه الحدث « الواقعى » الوحيد الذي يمكن ان يقع حياة منطوية على وجودها الفطري الخاص ، حياة بلا مضمون . ان انسان اليمين ، المقطوع عن العالم ، المقطوع عن الأقران الذين يرى فيهم جميعاً غرباء ، والذي بلا حب ، بلا هدف ، هو حبيس في ذاتية فارغة ، لا شيء يحدث فيها الا في الفكرة . ان الموت وحده « يقع » لمع بقائه داخلياً بالنسبة له . انه يحقق الانفصال الجذري ، وهو المتوحد بشكل المطلق ، والذي لا علاقة له مع الغير ، والذي بلا موضوع ، ولا مستقبل . ان المرء يموت وحده . لهذا يقرر انسان اليمين ان يرى في الموت حقيقة الحياة . انه يؤكد له ان كل فرد يعيش وحيداً ، منفصلأ . وعلى ضوئه لا أعود أصدر إلا عن أناي .

وهذه الأنا غريبة عن جميع من هم غرباء عن موتي : عن الجميع .  
إذا كانت الحياة شكلًا فارغاً ليس فيها من مضمون واقعي  
الا الموت ، فمن المناسب ان يظهر المرء في تصرفاته أسبقيّة  
الموت : ليس للحي من شاغل حقيقي غير اللعب مع الموت ،  
وتحديه ، وتجنبه ، وقبوله . انهم يتغدون بالبطولة لأنها تفيد في  
تأسيس الحق على الأنانية . ومن يثبت أن يحتقر حياته بالمحارفة  
بها ، ليس عليه ان يهتم بحياة الغير . ويرى نيته ان السادة  
باختيارهم «أن يعيشوا في خطر» يؤكّدون حقهم في استبعاد  
البعيد . ويقول : «في كل نصر ، احتقار للحياة» . ومن يحتقر  
الحياة بأكبر قدر من الترفع ويحازف بها بأكبر قدر من السخاء ،  
سيفوز بالنصر وبالعدالة في آن واحد . ويسمى نيته هذا  
الاحتقار «حبًا» أيضًا . وهو يضع الانتحار في مرتبة أعلى  
ايضًا من الموت في المعركة . «حبًا بالحياة يجب ان نشتري موتها  
حرأً ووعياً ، دون صدفة ولا مفاجأة» . والاحتقار يستند الى  
المضمون والحب الى شكل الحياة الحالص . والتاكيد الأسمى  
للشكل هو الإلقاء الجذري للمضمون بالانتحار . وصحيح ان  
الانتحار وحده يحقق الأنانية بشكل نهائى ومنسجم :  
لكن ليس من الانسجام ان يتابع المرء الحياة ، يحميه ظل الموت  
بشكل مريح .

يوم كان اليمين حبًا للقتال ، كان يحمami عن الحرب ،  
والقتل . فالانسان ، بسفحه الدم ، يؤكّد وجوده ، وينصب  
الاخاذيد ، معداً الارض لحصاد قادم . وفي هذه النقطة ايضاً ،

يتغلب السالب . فالجندى لا يبذر التربة بالقتل : بل ينظرها . وهذا اقل مداعاة للنشوة . ان الموت لم يعد إنجازاً او وعداً . ان ما يعجب فيه هو انه يقضى بالعدم فعلياً على تلك الانسانية التي يتمنى اختار ان يعتبرها عدماً .

باطل الاباطيل . انت من تراب والى التراب ستعود . ان النخبة المأساوية تجتر عن طواعية هذا العالم الذى يدينها الى الليل الكبير النهائي . يتساءل شاردوت في « رسائل الى روجيه نيميه » : « هذا العالم الذى سيكشف ذات يوم كأى كوكب آخر عن ان يكون عالماً مسكوناً ، هل يعنينا حقاً ؟ ». ان صاحب الامتياز يفضل ان يفكر بأنه لا يعنيه : فهكذا يستطيع ان يتابع بهدوء زراعة بستانه رغم انف « المجتمعات » ، « الفاقات » ، « البربريات » ، « الحبيطة ». وستكون تفاهة حقاً ، على ضوء المساواة الجنائزية الكبيرة ، ان يخاَصِ على المكافئ المؤقتة التي يتمتع بها .

ان تأمل الموت هو اسنى حكمة لمن هم اموات من الآن .

## خاتمة

لو تركنا أنفسنا تسبح في الميدان الذي يزعزع الفكر البورجوازي انه يتوضع فيه ، لبدا لنا و كأنه نسيج من التناقضات . انه واقعي ، صلب ، مقشأتم ، كلبي ، كا أنه روحي ، صوفي ، رخو التفاؤل . انه فلسفة للوجود الفطري و دين للمتعالي . وهو يتحد ، على ايمانه بذهب الجوهر والتعدد ، بثنالية وحدانية النزعة في تفسيرها للكون . فهو يريد ان يكون تركيبياً تارة ، وطوراً ينطلق من المذهب الذري<sup>(١)</sup> . لكن اذا ما انتقدناه من هذه الزاوية ، نكون قد وقعن في فخ المثالية ، اذ سنكون قد اعتبرنا العقيدة البورجوازية ظاهرة أصلية ، قائمة على البحث عن الحقيقة . لكن تناقضها يخذلنا من ان نخدع . ان كل فكر لا يجري بين الممثل بل على الأرض وكل

---

١ - مذهب يفسر خصائص المادة بدءاً من الذرات التي تكونها .  
«المترجم»

فکر يكشف عن تطبيق : و اذا كان فکر البورجوازيين متلبيكاً الى هذا الحد ، فلأن هناك تناقضًا بين التطبيق وكشفه . ان اولى صعوباتهم تتأتى من طبيعة الفکر بالذات : ان هذا الفکر يريد ان يفهم الاشياء وان يكون عالمياً . لكننا نعرف الى أي نتائج غير مقبولة يؤدي ادراك الواقع على الصعيد العالمي : اذا لا يعود هناك خنادق بين البشر ، بل تسوية رهيبة . ان واضح العقيدة اليميني يفصل بين هذين المطلين اللذين لا يستطيع ان يشبعهما معاً . انه كواقعى سيجعل من الفکر فکراً خالصاً عن طريق طبيعة الموضوع الفکر به وطبيعة الذات المفكرة : ان المتوسطي يفكر بالواقع المتوسطي ، بشكل عيني ومتفرد . وبالمقابل ، حين يتطلع الى الشمول ، يفقد موضوعه واقعيته ، ويجعل منه فكرة خالصة : انه يتكلم عن الانسان ، باسم الجميع ، الى الجميع ، لكن عن الانسان مجرد كما تصوره . والمخطط الذي يقترحه هذا الفصل هو التالي : يوجد في أعمق المعطى التجربى جوهر – قيمة . وتسود فوق المعطى مُمثل – قيم . ان الفکر البورجوازى ، بتموضعه ثارة على صعيد وتطوراً على آخر ، يقفز من الواقعى الى العالمى ، وبالعكس . لكن دون أن يجمع بينهما ابداً . وبين الاثنين قطيعة ، بالمعنى الرياضى للكلمة . ويبطل عالم البشر ، شأنه شأن العدد اللااعلى ، خارج هذه المنطقية أو تلك : فهو لا يملك وجوداً شرعياً .

ان وضع « اشكال جوهيرية » وسماء يسود فيها « الواحد » ،

فوق العالم المأهolt الأرضي ، يعكس تردد آخر لليمين : انه يدافع عن «هذه» الحضارة باسم حقائق وقيم ابدية . ان مذهب التعدد التاريخي يتلام بصعوبة مع مذهب وحدانية الكون الافلاطوني .

واخطر ما تكون هذه الثنائية على الصعيد الاخلاقي . ان اليمين طبعي النزعة وصناعتها في آن واحد . انه يرى ان هناك طبيعة انسانية : وانما بانتقاء طبعي يرتفع اصحاب الامتيازات فوق النوع . بيد ان ميزة النخبة هي ان تفرض نظاماً قائماً على الاصطناع : انها تفشل «التمرد العالمي» بأفكار ، واحتفالات ، وقوانين خلقية وجالية . وهذا العمل مختلف عن التطبيق اختلافاً كبيراً : فالمقصود هو التسوية لا الخلق ، والحفاظ على نظام مستقر لا التقدم به . ان الاخلاق والفن يهدفان الى تحليid الماضي ، لا الى تجاوز الحاضر نحو المستقبل . ويدخل هذه العمليات شيء من السر . فكيف يتفسر الانتقال من القيم الحيوية الى القيم الروحية؟ كيف يمكن للإنسان ان يكون مزوداً بشكل «طبعي» بقدرة فريدة على الإمساك بالتعالي والهبوط به الى الارض بواسطة الفن والاصطناع؟ ما من نظام يحيي على هذا السؤال . و المؤكد ان النزعة الاصطناعية تبدو ، حين يذكر التعالي ، ضرورة بسبب فساد الطبيعة الانسانية . و غالباً ما أشرنا الى التناقض بين حماسة اليمين الصوفية - الجمالية وبين كلبيته المريمة . انه يسعى وراء الأوهام التي يختلقها البشر عن انفسهم في هذا العالم التجاري ، ويفضح اناناتهم ويعامل

مشاريعهم باستخفاف : لكن هذه الطلقة تصبح رصانة ما إن تتكلم النخبة عن نفسها وعن النظام الذي تدعمه . إن البورجوازية تؤمن بكلميان فوتيل وتهتز لدورو ليد . إنها ترسم عن الإنسان أحلك الصور بهدف اظهار ضرورة إله تتصوره على مثالها .

حين يحاول الفكر البورجوازي ان يفهم المجتمع يكون ايضاً مزقاً بين ميليين متعارضين . فهو اذا ما استخدم عن طوعانية مقارنات عضوية ، فهذا لأنه يفهم المجتمع على انه مجموعات تركيبية . انه يفترض وجود اشكال مقابلة للكشف بمجلس توحيدى ، اشكال تتغلب حقيقتها على حقيقة عناصرها . بيد انه يلح على عدم اتصال التاريخ : ليس بين اشكاله المختلفة علاقات ائما على الاكثر تشابهات غامضة . والافراد معزولون كالذرات ، كل منهم منفلق على ذاته ومقطوع عن الجميع . وكثيراً ما أحت سيمون ويل – التي استغل اليمين عن سوء نية فكرها لكن التي رفعت على اليمين الكثير من الدعاوى – على موقف البورجوازي هذا القائم على انكار العلاقات . وتقول ان هذا راجع الى انه يهرب من المسؤولية . ان المذهب الذري يسمح بالفعل بتجاهل مسؤوليات النظام الرأسمالي المتعلقة بوضع الذين يستغلهم . فهؤلاء لا يظرون كضحايا للنظام ، بل لعباء في يد الصدفة : إن لم نقل انهم انفسهم السبب في آلامهم . ان اليمين يريد ان يتتجاهل القوانين الاحصائية : انه يعارضها بالفرص المجردة للفرد . انه يرى ان الاستثناء يكذب المعيار ،

حتى ولو كان يمكن التنبؤ بتفرده بشكل عادي . ان كل تذكرة من اصل مئة تربح في اليانصيب : فيستنتج اليمين من هذا ان الجميع يستطيعون ان يربحوا ، بدلاً من الاعتراف بأن التسعة والتسعين يجب ان يخسروا حتماً . ويعزز مفهوم الاستحقاق مفهوم الحظ : إن ابن العامل سيرتفع فوق طبقته اذا كان ذكياً، شيئاً . لكن فكرة مسابقة مفتوحة لألوان الافراد يفوز فيها من يكون اكثر استحقاقاً ، على افتراض ان فيها اساساً من الحقيقة ، تتضمن حتمية ألف الإحباطات . انه لتزييف كبير عن تزييفات المذهب الليبيرالي ان يعتبر امكانية حدوث الحالات الفردية الخاضعة بشكل عام لضرورة احصائية كضمانة الحرية اصيلة . ان فائدة هذه الكذبة هي انها يجعلها الغير مسؤولاً عن مصيره ، تعطيني الحق في غسل يدي من المسألة . ويمكن ان تكون هناك طريقة اخرى في الهرب من المسؤولية : وهي ان يعتبر المرء ذاته مسيراً . لكن البورجوازي حريص على ان يتصور نفسه حرّاً كـ الحرية . والمذهب الذري الفردي وحده يسمح له بالتوافق بين الحرية واللامسؤولية . اما انسان اليسار فهو يتصور نفسه على العكس مشروطاً ومسؤولاً في آن واحد . ان تناقضات الفكر البورجوازي كافة ترجع الى تناقض واحد ، فمن المستحيل على البورجوازية أن تلائم بين فكرها و موقفها العملي<sup>(١)</sup> : هذه هي اللعنة التي تثقل على عقيدتها . ان

١ - لهذا تتجدد دوماً في تشويش المتراء ، وفي رفض قرار الفكر الذي

البروليتاريا تعترف بخصوصيتها كطبقة : لكنها تعمل على إلغائها ، وبهذا تتجلى كطبقة عالمية . أما البورجوازية فتتجدد عملياً في المفاسد على خصوصيتها . وهي مرغمة ، كي تفرض نفسها كطبقة عالمية ، على إنكار خصوصيتها بالفكر ، أي مرغمة بالتالي على ان تدير ظهرها للواقع . ان واضعي عقيدتها يجدون انفسهم على خلاف مع اعضاءها الفعالين لأن عليهم ان يقنعوا بالأوهام الحقيقة التي يعيشها هؤلاء الأعضاء الفعالون ، لا ان يعبروا عنها .

إن البورجوازية تخوض ، عملياً ، صراع الطبقات ، فهي تعمل ، وتدافع عن سياسة ، إن لم نقل أنها تفرضها .

إن واضعي عقيدتها يعظون بالمذهب المأساوي ، والصوفي ، والريبي ، وبفلسفة للوجود الفطري تدين كل مشروع . ان البورجوازية تؤمن بالعلم : لكن واضعي عقيدتها ينقضونه . ان البورجوازيين يهتمون اعظم الاهتمام بوجودهم التجربى : لكن أخلاقيتهم يحتقرونه لحساب المتعالى ، ويتغذون بالموت . ان البورجوازية تريد ان تصنع لها مرايا تستطيع ان تتأمل نفسها فيها : لكنها تطلب أن تكون مرايا مشوهة .

ان البورجوازي القائل بالنزعة الوهمية لا يجهل انه يزور

---

هو الحكم . ويلاحظ ان التفكير عندها « ليس هو ما يسمح بالحكم بل ما يسمح بتأجيل الحكم . والمقصود أولاً عند مواجهة مشكلة ايماد الخرج الموارب الذي يسمح بالابتعاد عن المركز الحي الذي تتضمن فيه هذه المشكلة أما نعم وأما لا » .

حقيقة طبقته . انه يأخذ عليها أنها تكذب علياً الأساطير التي يختلقها لها ويعرف انه مشبوه عندها . انه محكوم عليه ، بالإضافة الى التكذيب القاسي لادعاءاته من قبل الطبقة الخاصة التي لا ترى فيه الا ظاهرة سلبية تابعة اصلاً لظاهرة أخرى ، أقول انه محكم عليه بعزلة يشيد منها نظاماً . فهو إنما عليه تنطبق فكرة الحقد . ان مذهبة الجمالي ، والريبي ، ونزعته الدينية موجهان ضد البشر . وهو لا يتحاشى الحقد عليهم الا بيارغامه نفسه على الاحتقار . انه انسان الرفض ، سواء أكان مفتماً أو متعمقاً . ان كل ما لديه من يقين هو يقين سلبي . انه يقول لا « للعالم الحديث » ، لا للمستقبل ، أي لحركة العالم الحية : لكنه يعرف ان العالم سيتغلب عليه . انه خائف : ماذا يتنتظره من رجال الغد أولئك الذين يعلم انه خصمهم ? انه يتسلح ضدهم بمبادئ مجردة : كل حياة انسانية يجب ان تحترم ، فاحترموا حياتي ! انه يتكلم باسم العالمي لأنه لا يجرؤ على الكلام باسمه الخاص . او انه يحثهم بداعف الوقاية على الرحمة ، كما يفعل تيريري مولنييه في « بيت الليل » . لكنه يشك في أنهم يستمعون إليه . وآتى ذلك يكون ملجأه الوحيد أن يجر معه الانسانية جماء الى الموت . ان البورجوازية تريد البقاء على قيد الحياة . لكن واضعي عقيدتها يتبناؤن ، لمعرفتهم بأنهم مدانون ، بالطوفان العالمي . ان هذا التعبير « العقيدة البورجوازية » بات لا يدل اليوم على أي شيء إيجابي . ان البورجوازية لا تزال موجودة : لكن فكرها ، المأساوي والفارغ ، بات ضد الفكر .

# فهرست

## صفحة

٧	الموقف الحالي للفكر البورجوازي
٢٤	معاداة الشيوعية
٤٠	نظرية النخبة
٥١	التاريخ
٦٣	رسالة النخبة
٦٧	الفكر
٨٢	الأخلاق
٩١	الفن
١٠٠	القيمة والامتياز
١٠٥	حياة المختارين
١٢٢	الأدب
١٢٧	الطبيعة
١٣٣	الموت
١٣٦	خاتمة



## هذا الكتاب

تقول المؤلفة عن البورجوازية : « إنها ترسم عن الأنسان احلك الصور بهدف اظهار ضرورة إله تتصوره على مثالها » وتنقول ايضاً : « ان تناقضات الفكر البورجوازي ترجع الى تناقض واحد ، فمن المستحيل عليهما ان تلائم بين فكرها وموقفها العملي : هذه هي اللغة التي تُنقل على عقيدتها . »

وفي هذا الكتاب تحليل ونقد لاذع للمفهوم اليميني للشيوعية والتاريخ والفكر والأخلاق والفن والأدب ولنظرتها للطبيعة والموت .



الثمن : ٢٠٠ ق. ل.  
٢٥٠ ق. س.

مَشْوَرَاتِ دَارِ الطِّبْيَعَةِ - بَيْرُوتٌ